الجزء الثاني من سلسلة فارس من الممالك السبع

جورج.ر.ر.مارتن



السَّيفُ المُقسِم

المترجمين:

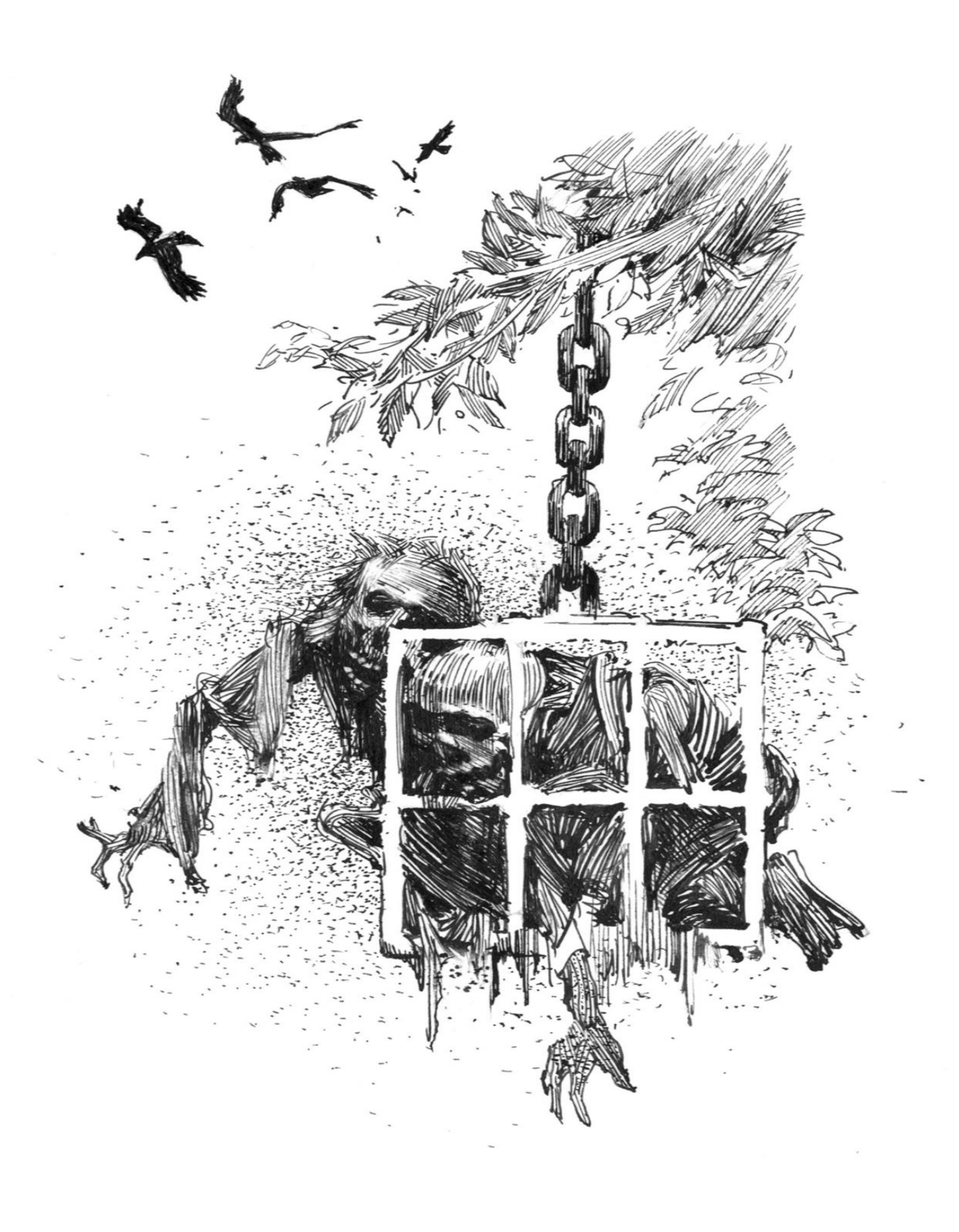
@ImHammad_

@monana6612

السَّيفُ المُقسِم







في قفصٍ حديدي على تقاطع الطرق، كان هنالك رجلان ميتان يتعفنان تحت شمس الصيف، توقف ايغ في الأسفل ليُلقي نظرةً عليهما «من تظنُّ أنهما كانا يا سيدي؟». كان بغله (مايستر) ممتنًا على فترة التوقف، وبدأ برعِي العشب البني الشيطاني الجاف بمحاذاة الأطراف، غير مبالٍ ببرميلي النبيذ الكبيرين على ظهره.

قال دانك «سارقيَن». ممتطيًا (رعد)، كان دانك أقرب بكثير للرجلين الميتين «مغتَصِبَين، قاتلَين». بقّعت الدوائر الداكنة سترته الخضراء القديمة تحت كلا ذراعيه. كانت السماء زرقاء والشمس تُشعّ بحرارة، وقد تصبب جوالينًا من العرق منذ أن خرج من مخيمه هذا الصباح.

خلع ايغ قبعته، قبعة القش المرنة ذات الأطراف الواسعة. وتحتها كان رأسه أصلعًا ولامعًا، واستخدم القبعة ليُبعد الذباب. كان هنالك المئات منهم مزدحمين حول الرجلين الميتين، والعديد منهم يتدافعون بكسل خلال الهواء الهادئ والحار «لا بد أنهما اقترفا شيئًا سيئًا جعلهما يُتركان حتى الموت في قفص غربان».

في بعض الأحيان، يُمكن أن يكون ايغ حكيمًا كأي مايستر، وفي أحيانٍ أخرى كان لا يزال صبيًا في العاشرة. وقال دانك «هنالك لوردات ولوردات، وبعضهم لا يحتاج سببًا مقنعًا لكي يحكم على رجلٍ بالموت».

كان القفص الحديدي يتسع بالكاد ليحتجز رجلًا واحدًا، ومع ذلك أُجبر رجلان على دخوله، ووُضعا وجهًا إلى وجه، وأذرعهما وأرجلهما متشابكتين، وظهريهما ملتصقان بقضبان الحديد السوداء الساخنة. حاول واحدٌ منهما بأن يأكل الآخر، وقضم عنقه وكتفه. كانت الغربان جاثمةً على كليهما، وعندما وصل دانك وايغ إلى التل، طارت الطيور كسحابة سوداء، كانت سحابة كثيفة جعلت (مايستر) يرتعد.

وقال دانك «مهما يكونان، يبدوان محرومين من الطعام». وفكّر: *هياكلُ عظمية مغطّاة بالجلد، والجلد أخضرٌ ويتعفن* «ربما سرقا بعض الخبز، أو ذبحا غزالًا في غابة أحد اللوردات دون إذن منه». ومع دخول الجفاف عامه الثاني، أصبح معظم اللوردات أقل تسامحًا مع الصيد الغير نظامي، فهم لم يكونوا متسامحين جدًا منذ البداية.

«من المحتمل أنهما كانا في أحد جماعات الخارجين عن القانون». كانوا قد سمعوا عازفًا في (دوسك) يغني "اليوم الذي شنقوا روبن الأسود" ومنذ

ذلك الحين، أصبح ايغ يرى الخارجين عن القانون الشجعان خلف كل شجرة.

كان دانك قد قابل بعضًا من الخارجين عن القانون بينما كان مرافقًا للرجل العجوز، ولم يكن يرغب بأن يقابل المزيد منهم قريبًا. ولم يكُن هنالك أحدٌ من الذين عرفهم مميزًا بالشجاعة، وتذكر أحد الخارجين عن القانون الذين ساعد الرجل العجوز بشنقهم، كان مولعًا بسرقة الخواتم، وكان يقطع أصابع الرجال ليحصل عليهم، ولكن مع النساء فكان يفضل بأن يعض. لم يكن هنالك أغانٍ يعرفها دانك عنه. وفكّر دانك: *خارجون عن القانون أم صائدون غير نظاميين، هذا لايهم، فالرجال الميتون صحبةٌ سيئة*. ومشى بـ(رعد) ببطءٍ حول القفص، بدا وكأن الأعين الفارغة تلاحقه، وكان رأس أحد الرجلين الميتين ينظُر إلى أسفل فاغرًا فاه، ولاحظ دانك: *ليس لديه لسان*. وافترض بأن الغربان قد تكون أكلته، فالغربان كانت دائمًا ما تنقر أعين الجثة أولًا كما سمع، وربما قد تكون تأكل اللسان ثانيًا، وفكّر: *أو ربما قطعه أحد اللوردات، من أجل شيء قاله*.

مرّر دانك أصابعه خلال شعره المخطط بضوء الشمس. لم يكن بوسعه أن يفعل شيئًا للميتين، ولديهما برميلي نبيذ عليهما أن يوصلوها إلى ((ستاندفاست))، وسأل وهو ينظر من طريق إلى آخر «من أي طريق أتينا؟ لقد أضعت الطريق». وأشار ايغ «((ستاندفاست)) من هذا الطريق يا سيدي». «من حسن حظنا إذًا، نستطيع أن نعود بحلول الغسق، ولكننا لن نعود إذا جلسنا طوال اليوم هنا نعدُّ الذباب». وهمز (رعد) بكعبيه ودار بفحله الكبير اتجاه المنعطف الذي عن يساره.

وضع ايغ قبعة القش على رأسه مجددًا، وشد عنان (مايستر) بخشونة. ترك البغل رعيَ العشب الشيطاني وتقدم بلا اعتراض مباشرة. وفكّر دانك: *إنه يشعر بالحرارة أيضًا، ولا بد أن برميلي النبيذ هذين ثقيلان*.

جعلت شمس الصيف الطريق قاسيًا كالطوب، وكانت أخاديده عميقة بما فيه الكفاية لكسر رجل حصان، كان دانك حذرًا وحرصَ على أن يُبقي (رعد) في الأرض المرتفعة بينهما. كان هو قد لوى كاحله في اليوم الذي غادروا فيه

من (دوسك)، بينما كان يمشي في حلكة الليل حيث كان الجو أبرد. اعتاد الرجل العجوز بأن يقول أن على الفارس أن يتعلم العيش مع الآلام والأوجاع، وفكّر: *نعم أيها الصبي، ومع العظام المكسورة والجروح، إنها جزء لا يتجزأ من الفروسية كالسيوف والتروس*. ولكن لو كُسرت رجل (رعد)... حسنًا، الفارس بلا حصان ليس فارسًا على الإطلاق.

تبعه ايغ الذي كان خلفه بخمسة ياردات، مع (مايستر) وبراميل النبيذ. كان الصبي يمشي وأحد قدميه الحافيتين عالقة في أخدود، والأخرى خارجها، ولذلك كان ينهض ويسقط مع كل خطوة يأخذها، كان خنجره مغمدًا في أحد وِركَيه، وكانا حذاءيه معلقان فوق حقيبته، وكان مشمّرًا عن كُمّي سترته البنية البالية التي ربطها حول خصره، وتحت قبعة القش عريضة الحافة، كان وجهه ملطخًا ومتسخًا، وعينيه كبيرتان وداكنتان. كان في العاشرة من عمره، ولم يصل حتى لطول الخمسة أقدام، ومؤخرًا أصبح ينمو بسرعة، ولكن لا يزال أمامه طريقٌ طويل ليكبر ويلحق بدانك، وبدا وكأنه صبي الإسطبل الذي لم يكُنه، وليس على الإطلاق ماهو عليه حقًا.

اختفى الرجلان الميتان خلفهما قريبًا، ولكن وجد دانك نفسه يفكر فيهما رغم ذلك، كانت البلاد مكتظةً بالرجال الذين لا يلتزمون بالقوانين هذه الأيام. ولم يُظهِر الجفاف أي علامات على الانتهاء، وخرج العامة بالآلاف إلى الطرقات، يبحثون عن مكان لا يزال يسقط عليه المطر. ولكن اللورد الغراب الدامي أمرهم بالعودة إلى أراضيهم ولورداتهم، وأطاعه القليل فقط. كان العديد يُلقي باللوم على الغراب الدامي والملك ايريس بأنهما سبب الجفاف، كانوا يقولون بأنه عقابٌ من الآلهة، فقاتل الأقربين ملعون. ولكنهم لو كانوا حكماء، لم يكونوا ليجهروا بقولهم هذا. وتذكر الأحجية التي سمعها ايغ في البلدة القديمة: *كم عينًا يمتلك اللورد الغراب الدامي؟ ألف عينٍ، وعينٌ واحدة*.

قبل ست سنوات في (كينجزلانديننج)، كان دانك قد رآه بأمّ عينيه، حيث كان راكبًا حصانًا شاحبًا على طريق الفولاذ مع خمسين رجلًا من أسنان الغراب خلفه، كان ذلك قبل أن يصعد الملك ايريس العرشَ الحديدي ويجعله اليد. ولكن حتى رغم ذلك كان شخصًا مُبهرًا ولافتًا للنظر، مرتديًا

الرمادي والقرمزي، ودارك سيستر على وركه. جعله جلده الشاحب وشعره الأبيض العظمي يبدو وكأنه جثة حية، وعلى وجنته وذقنه انتشرت وحمةٌ كبقعة النبيذ، والتي كانت من المفترض أن تشبه غرابًا أحمرًا، ولكن لم يرَ دانك سوى بقعة غريبة الشكل من الجلد غير متماثل اللون. حدّق دانك بشدّة حتى شعر به الغراب الدامي، والتفت مشعوذ الملك ليتفحصه بينما كان يمر. كان لديه عينٌ واحدة وقد كانت حمراء. أما العين الأخرى فقد كانت تجويفًا فارغًا، الهدية التي أعطاها الفولاذ الأليم له في حقل العشب الأحمر، ولكن بدَا لدانك بأن كلا عينيه نفذَت داخل جلده، ونظرت عميقًا إلى أعماق روحه وسبرت أغوارها.

على الرغم من الحرارة، جعلته الذكرى يرتجف. وصاح ايغ «سيدي؟! هل مرضت؟».

وقال دانك «كلّا». وأشار إلى الحقل خلف الطريق حيث كانت صفوفٌ من البطيخ ذابلةً في أشجارها «أنا أشعر بالحر والظمأ مثلهم تمامًا». وبمحاذاة الحواف، لا تزال رؤوس من الماعز والقليل من العشب الشيطاني تتشبث بالحياة، ولكن المحاصيل لم تكن محظوظة مثلهم. كان دانك يستطيع أن يحسّ بشعور البطيخات هنالك. اعتاد السير أرلان بأن يقول أن الفرسان المتجولين لا يجب أن يشعروا بالعطش «ليس طالما أن لديك خوذة لتجمع المطر فيها، فماء المطر هو أفضل شرابٍ أيها الصبي». ولكن الرجل العجوز لم يشهد صيفًا كهذا. كان دانك قد ترك خوذته في ((ستاندفاست)). فقد كانت ثقيلة على أن يلبسها، وفي حرارة شديدة كهذه أيضًا، ولم يكن هنالك مطرٌ ثمين لجمعه فيها. وفكّر: *ماذا على الفارس المتجول أن يفعل عندما تصبح الأسجية بُنية وقاحلة وميتة؟*

ربما عندما يصلون إلى المجرى سوف يحمم نفسه بالماء. وابتسم مفكرًا عن كيف سيكون شعوره جيدًا وقتها، بأن يغطس في الماء ويخرج مبتسمًا ومبللًا والماء يتقاطر منه، ويسيل على وجنتيه وشعره المتشابك، وسترته المغمورة بالماء ملتصقة على جلده. ربما يرغب ايغ بأن يتحمم أيضًا، ولكن الصبي بدا باردًا ورطبًا، مغبرًّا أكثر من كونه متعرقًا. فهو لم يتعرق الكثير، وأحبّ الحرارة، وفي دورن كان يتجول عاري الصدر ويعود أسمرًا كرجل

دورني، وأخبر دانك نفسه: *إن دماء التنين تسري فيه، من الذي سمع بتنينٍ متعرّق قط؟* كان دانك ليخلع معطفه بكل سرور، ولكن لن يكون هذا لائقًا، يستطيع الفارس المتجول بأن يركب عاري الصدر إذا رغب، فهو لن يكلل إلا نفسه بالعار، ولكن الأمر كان مختلفًا عندما يكون سيفك مُقسمًا، وفكّر: *عندما تقبل الطعام والشراب من أحد اللوردات، فكل ما تفعله ينعكس عليه*. اعتاد السير أرلان بأن يقول هذا. *افعل أكثر مما هو متوقعٌ منك دائمًا، ولا تفعل أقل منه بتاتًا. ولا تجفل من أي مهمة أو مشقة، والأهم من كل هذا، لا تكلل سيدك الذي تخدمه بالعار.*

في ((ستاندفاست))، كان "الطعام والشراب" يعني الدجاج والمزر، ولكن السير يوستاس كان يأكل هذه الأطعمة البسيطة أيضًا.

وأبقى دانك معطفه عليه، محترًّا.



كان السير بينيس من الترس البني ينتظرهما على الجسر الخشبي القديم، وصاح بهما «إذًا ها قد عدتما، لقد غبتما طويلًا حتى حسبت أنكما هربتما بفضة الرجل العجوز». كان بينيس جالسًا على حصانه الأشعث، يمضغ حزمة من التبغ المر جعلت فمه يبدو وكأنه مليء بالدماء.

وأخبره دانك «اضطررنا للذهاب طوال هذه المسافة إلى (دوسك) لكي نجد بعض النبيذ. أغار الكراكن على (دوسك) الصغيرة. وحملوا معهم الثروة والنساء وأحرقوا نصف ما لم يستطيعوا أخذه».
وقال بينيس «داجون غريجوي هذا يجب أن يُشنق. ولكن من سيشنقه؟ هل رأيتم بايت الماجن هنالك؟».

«أخبرونا بأنه ميت، قتله الحديديون بعد أن حاول أن يمنعهم من أخذ ابنته». «بحق الجحائم السبع اللعينة». أدار بينيس رأسه وبصق «لقد رأيت هذه الابنة مرةً، لا تستحق الموت من أجلها لو سألتني. ذلك الأحمق بايت كان مدينًا لي بنصف أيلٍ فضي». بدا الفارس البني كهيئته عندما غادروا، وأسوأ، كانت رائحته نفسها أيضًا، وارتدى الرداء نفسه كل يوم، سراويل بنية، وسترة مهترئة غير واضحة المعالم، وأحذية من جلود الأحصنة، وعندما يلبس درعه كان يرتدي قميصًا بنيًّا فضفاضًا فوق قميص من المعدن الصدئ.

كان جُراب سيفه حبلًا من الجلد المغلي، وربما يكون وجهه المجعد مصنوعًا من الشيء نفسه أيضًا. وفكّر دانك: *يبدو رأسه كأحد تلك البطيخات الذابلات التي مررنا من عندها*. حتى أسنانه كانت بُنيّة، تحت العلامات الحمراء التي تركها التبغ المر الذي أحب مضغه. وبين كل هذه السُّمرة، كانت عيناه مميزتان، كانتا خضراوتان وشاحبتان، وصغيرتان وحولاوتان، ومتقاربتان، ومليئتان بالغل والحقد. ولاحظ «برميلان فقط، السير عديم الفائدة يرغب بأربعة».

وقال دانك «كنا محظوظين أن وجدنا اثنين، وصل الجفاف إلى الكرمة أيضًا ومسّها، سمعنا بأن العنب يتحول إلى زبيبٍ على الأشجار، والحديديون كانوا يسرقون—».

قاطعه ايغ «سيدي؟ لقد اختفى الماء».

كان دانك مركزًا مع بينيس بشدة حتى أنه لم يلحظ ذلك. تحت ألواح الجسر الخشبية المقوسة لم يكن هنالك غير الرمال والصخور. وفكّر دانك: *هذا غريب، كان المجرى يوشك على التوقف عندما رحلوا، ولكنه كان يتدفق*. وضحك بينيس، كان لديه نوعين من الضحكات، في بعض الأحيان كان يقوقؤ كالدجاجة، وفي بعض الأحيان كان ينهق بصوتٍ أعلى من بغل ايغ. كانت هذه ضحكة الدجاجة «جفّ بينما كنتما ذاهبين على ما أظن، سيفعل الجفاف هذا».

كان دانك فَزِعًا، وفكّر: *حسنًا، لن يمكنني أن أتحمم الآن*. انعطف إلى أسفل على الأرض. وفكّر: *ماذا سيحدث للمحاصيل الآن؟* نصف الآبار في المرعى قد جفت، وكل الأنهار على وشك التوقف، حتى مصب النهر الأسود والماندر العظيم.

وقال بينيس «شيءٌ مقرف هذا الماء، شربت بعضًا منه مرةً، وجعلني مريضًا كالكلب، النبيذ أفضل».

«ليس بالنسبة للشوفان، ولا للشعير، والجزر، والبصل، والكرنب. حتى العنب يحتاج إلى الماء». وهز دانك رأسه «كيف من الممكن أن يجف بهذه السرعة؟ لقد كنا ذاهبين لمدة ستة أيام فقط».

«لم يكن هنالك الكثير من الماء من الأساس يا دانك، ولكن كان هنالك الكثير من الوقت لكي يجف. أستطيع أن أتبول لي مجرىً أكبر من هذا».

وقال دانك «لا تقُل دانك. أخبرتك ألا تفعل». وتساءل عن سبب تضايقه. كان بينيس رجلًا قاسي الكلام، وقد أسعده أن يسخر من الآخرين «أنا أدعى السير دانكن الطويل».

«بواسطة من؟ جروك الأصلع؟». ونظر إلى ايغ وضحك ضحكة الدجاجة الخاصة به «أنت أطول مما كنت عليه عندما كنت مع ذو شجرة البنسات، ولكن لا يزال دانك اسمًا لائقًا بالنسبة لي».

حكّ دانك مؤخرة رقبته وأمعن النظر بالصخور «ماذا يجب علينا أن نفعل؟».

«نجلب النبيذ إلى الديار، ونخبر السير عديم الفائدة بأن مجراه أصبح جافًا. بئر ((ستاندفاست)) لا يزال يتدفق، ولن يصبح عطِشًا».
«لا تطلق عليه عديم الفائدة». كان دانك مولعًا بالفارس العجوز «أنت تنام تحت سقفه، اعطه بعض الاحترام».

وقال بينيس «أنت تحترمه نيابة عنا كلينا يا دانك. سأطلق عليه ما أشاء».

صرّت الألواح الفضية والرمادية بقوة بينما كان دانك يمشي على الجسر، ليلقي نظرة على الرمال والصخور في الأسفل، تلألأت بعض البرك الصغيرة البنية بين الصخور، ورآها، ولم تكن أي واحدة منها أكبر من يده «سمكٌ ميت، هنا وهنالك، هل ترى؟». ذكرته رائحتهم بالرجلين الميتين على تقاطع الطرق.

«أراهم يا سيدي».

قفز دانك إلى أسفل على قاع المجرى، وقرفصَ على كعبيه، وقلَبَ أحد الأحجار، وفكّر: *جافٌّ وساخن من الأعلى، رطبٌ وموحل من الأسفل* «لا بد أن الماء اختفى قبل فترة وجيزة فقط». وبينما كان واقفًا، قذف حجرًا على ضفة المجرى حيث تحطم على نتوءٍ متداعٍ بينما هبّت ريحٍ من الأرض البنية الجافة «التربة متصدعة على طول ضفاف المجرى، ولكنها ليّنة وموحلة في المنتصف، هذه الأسماك كانت على قيد الحياة بالأمس».

«اعتاد ذو شجرة البنسات أن يطلق عليك دانك الأخرق على ما أذكر». وبصق السير بينيس رزمة من التبغ المر على الصخور. ولمعت بلونٍ أحمرٍ ولزج تحت ضوء الشمس «على الخرقى ألا يحاولوا التفكير، فعقولهم اللعينة بليدة على أن تفعل هذا».

وفكّر دانك: *دانك الأخرق، بليد كجدار قلعة*. من السير أرلان، كانت الكلمات عطوفة، فقد كان رجلًا حنونًا حتى في توبيخه. أما على لسان السير بينيس من الترس البني، كان وقعها مختلفًا، وقال دانك «السير أرلان مات قبل عامين. وأنا أدعى السير دانكن الطويل». كان راغبًا وبشدة بأن يُنفذ قبضته خلال وجه الفارس البني، وأن يحطم هذه الأسنان الحمراء العفنة إلى شظايا. ربما يكون بينيس من الترس البني شخصًا بغيضًا وحقيرًا، إلا أن دانك يتفوق عليه طولًا بقدم ونصف، وأربعة أحجار أيضًا. ربما يكون أخرقًا، إلا أنه قوي. في بعض الأحيان بدا وكأنه قد ضرب رأسه على نصف الأبواب في ويستروس، دون ذكر كل عارضة في كل خان من دورن حتى العنق. قاس أخُ ايغ ايمون طوله في (البلدة القديمة)، ووجد بأنه كان ينقص إنشًا واحدًا ليصل إلى سبعة أقدام، ولكن هذا كان قبل نصف عام. ربما كان

قد نما منذ ذلك الحين، فالنمو كان الشيء الوحيد الذي أحسن دانك صنعه كما اعتاد الرجل العجوز بأن يقول.

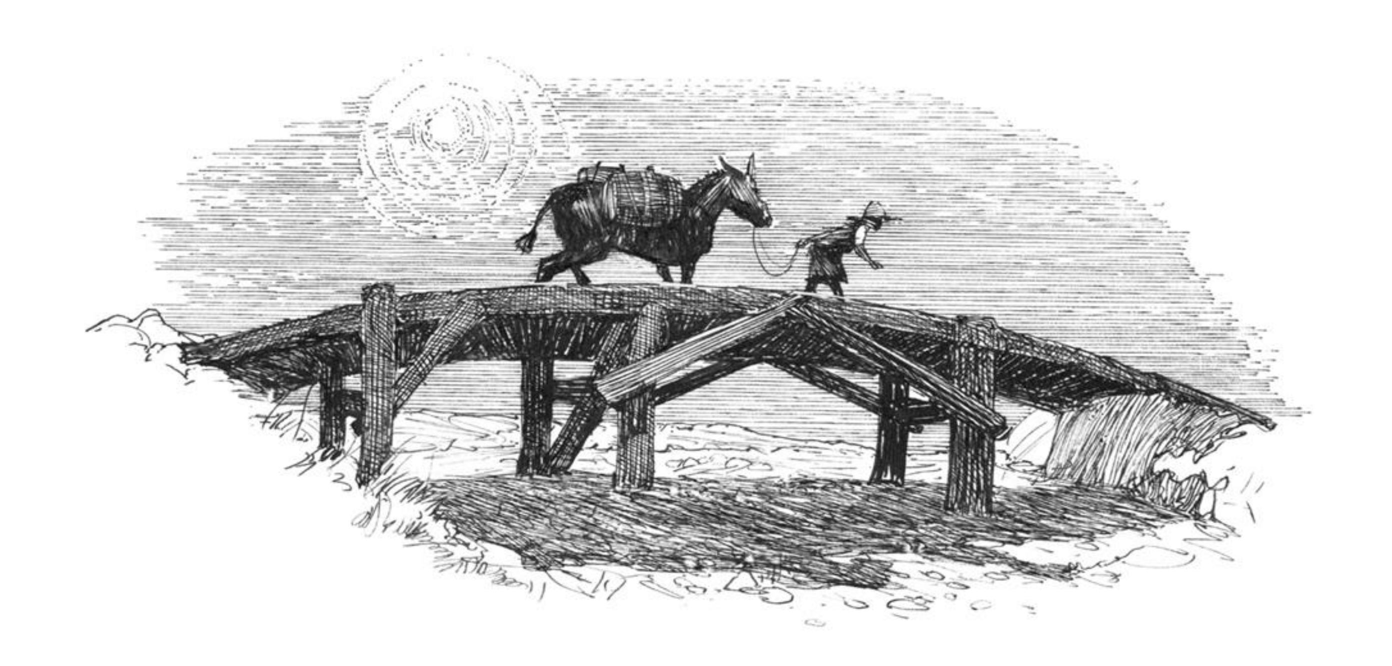
عاد إلى (رعد) وامتطاه مجددًا «ايغ، عُد إلى ((ستاندفاست)) مع النبيذ. أنا ذاهبٌ لأرى ما حدث للماء».

وقال السير بينيس «تجف مجاري المياه طوال الوقت».

«أُريد فقط أن أُلقي نظرة—».

«كما نظرت تحت تلك الصخرة؟ لا يجب عليك أن تذهب وتقلب الصخور أيها الأخرق. فلست تعلم ما الذي يمكن أن يخرج منها، لدينا أسرّة قشٍّ مريحة في ((ستاندفاست))، وهنالك بيضٌ في معظم الأيام، ولا شيء لنفعله غير الاستماع إلى السير عديم الفائدة وهو يتحدث عن أمجاده في الماضي. أقول لك دع ذلك وشأنه، المجرى جف، وهذا كل ما في الأمر».

ولكن دانك كان كتلة من العناد تتحرَّك على قدمين، وقال لايغ «السير يوستاس ينتظر نبيذه. أخبره أين ذهبت».



«سأفعل يا سيدي». وشدّ ايغ عنان (مايستر)، ونفض البغل أذنيه، ولكنه انطلق مجددًا على الفور. وفكّر دانك: *إنه يرغب بالتخلص من برميلي النبيذ هذين من على ظهره*. ولا يستطيع دانك لومه على هذا.

كان المجرى يتدفق من الشمال والشرق عندما كان يتدفق، ولذلك دار بـ(رعد) جنوبًا وغربًا. ولكنه لم يكد أن يقطع بضع ياردات حتى لحق به بينيس «من الأفضل أن آتي معك كي لا تُشنق». ودفع تبغًا مرًّا طازجًا في فمه «بعد أن نتجاوز مجموعة أشجار الصفصاف الرملية تلك، ستكون الضفة اليمنى كاملة أراضٍ للعناكب».

لم يكن دانك يرغب بأي مشاكل مع سيدة ((كولدموت)) «سأبقى في جانبنا». في ((ستاندفاست))، كان يسمع أشياءً مريعة عنها، كانت تُسمى بالأرملة الحمراء، بسبب أزواجها الذين دفنتهم في الأرض. كان سام منحني الظهر العجوز يقول بأنها ساحرة، مسمّمة، وأسوأ من ذلك. وقبل عامين كانت قد أرسلت فرسانها عبر المجرى ليقبضوا على أحد رجال أوزجري لسرقته الخِراف «عندما ذهب سيّدي إلى ((كولدموت)) ليطالب بعودته، أخبروه بأن يبحث عنه أسفل الخندق. كانت قد خيّطت دايك المسكين في حقيبة من الصخور وأغرقته. وبعد هذا قبِل السير يوستاس السير بينيس في خدمته، ليبقي هؤلاء العناكب خارج دياره».
أبقى (رعد) سرعته بطيئة ومنتظمة تحت الشمس الكاوية.

كانت السماء زرقاء وقاسية، وبلا أي لمحة من الغيوم في أي مكان. تعرّج تدفق المجرى حول التلال الحجرية الصغيرة وأشجار الصفصاف المهملة، وخلال الهضاب الجرداء والبنية، والحقول من القمح الميت والقمح الذي يدنو من الموت. وبعد مرور ساعة من ركوبهما أعلى الجسر عكس تيار المجرى، وجدا نفسيهما يركبان على حافة غابة آل أوزجري الصغيرة التي تسمى (غابة وات). بدَت الخُضرة مغرية من بعيد، وملأت رأس دانك بتخيلات عن الأودية الظليلة وخرير الجداول. ولكن عندما وصلا إلى الأشجار كانت نحيلة وهزيلة، وأغصانها متدلية، كانت بعض أشجار البلوط الكبيرة تُسقط أوراقها، ونصف أشجار الصنوبر أصبحت بُنيّة كالسير بينيس،

وحلقاتٌ من أوراق الصنوبر الميتة أحاطت بجذوعها. وفكر دانك: *أسوأ وأسوأ، شرارة واحدة وسيشتعل كل هذا كصندوق من الصوف*.

ولكن في الوقت الحاضر، كانت الشجيرات المتشابكة على ضفاف المياه المربعة كثيفة بفروع النباتات الشائكة، ونباتات القراص، والورود البريّة البيضاء المتشابكة وأشجار الصفصاف الصغيرة. وبدلًا من أن يشقوا طريقهما من خلالها، قطعا قاع المجرى الجاف إلى جانب ((كولدموت))، حيث أزيلت الأشجار هنالك من أجل رعي الماشية. وبين الأعشاب البنية الجافة والورود البرية الباهتة كان هنالك بعض الأغنام سوداء الأنف ترعى هنالك، وعلّق السير بينيس «لم أعرف حيوانًا قط أغبى من الأغنام، أهم أقارب لك أيها الأخرق؟». وعندما لم يُجِب دانك، ضحك ضِحكة الدجاجة مجددًا.

وبعد نصف فرسخٍ جنوبًا، وصلوا إلى السد.

لم يكن كبيرًا مقارنة بباقي الأشياء، ولكن مظهره يوحي بأنه قوي، ورُمِيَ متراسين خشبيين متينين عبر المجرى من ضفة إلى ضفة أخرى، صُنِعا من جذوع الأشجار، ولا يزال اللحاء عليهما. مُلئَت المسافة بينهما بالصخور والتراب الذين كانا مضغوطين بقوة، وأسفل التيار كان الماء يرتفع فوق الضِّفاف وينسكب على الأخدود الذي أُنشئ بين حقول الليدي ويبر. وقف دانك على رِكابه ليحصل على نظرة أفضل. كان بريق الشمس المنعكس من الماء قد أظهر العديد من قنوات الأخاديد الصغيرة التي كانت تتدفق في جميع الاتجاهات كشبكة العنكبوت. وفكّر: *إنهم يسرقون مجرانا*. ملأه المنظر بالسخط، خصوصًا عندما أدرك أنهم أخذوا الأشجار من (غابة وات) بكل تأكيد.

وقال بينيس «انظر أين ذهبت وماذا فعلت أيها الأخرق، لم تستطع أن تتقبل بأن المجرى قد جف، كلا. ربما يبدأ الأمر هذا بالماء، ولكنه سينتهي بالدم، دمي ودمك على الأغلب». واستلّ الفارس البنّي سيفه «حسنًا إذًا، لن يساعدنا هذا الآن، أولئك هم حفاروك الملعونون ثلاثًا، من الأفضل أن

نضع بعض الخوف فيهم». وحثّ حصانه بمهمازه وركض به خلال العشب.

لم يكن لدانك خيارًا إلا أن يتبعه، كان سيف السير أرلان على وركه، قطعة جيدة ومستوية من الفولاذ. وفكّر: *إذا كان لدى حافري الأخاديد هؤلاء بعض من العقل فسيهربون*. وطيّرت حوافر (رعد) كتلًا من الطين.

أسقط أحد الرجال مجرفته عندما رأى الفارسين القادمين، ولكن هذا كان كل ما في الأمر. كان هنالك عشرون حفّارًا، طوالًا وقِصارًا، كِبارًا وشُبّانًا، جميعهم تحولّت بشرتهم إلى اللون البني بسبب الشمس، كانوا قد كونوا طابورًا من الثياب المهترئة بينما أبطأ بينيس من حركته، ممسكين مجارفهم ومعاولهم بقوة، وصرخ أحدهم «هذه أراضي ((كولدموت))».

«وهذا مجرى أوزجري». وأشار بينيس بسيفه الطويل «من الذي وضع هذا السد الملعون؟».

وقال أحد الحفارين الشُّبان «المايستر سيريك هو من صنعه».

وأصرّ رجلٌ أكبر بالعمر «كلّا. الجرو الرمادي عيّن البعض وقال أن نفعل هذا وذاك، ولكن نحن من صنعه».

«إذًا تستطيع أن تهدمه».

كانت عينا الحفّار متجهمتين ومتحديتين. ومسح أحدهم العرق عن حاجبه بظهر يده. ولم يتحدث أحد.

وقال بينيس «يبدو أنكم لا تسمعون جيدًا. هل أحتاج إلى أن أقطع أُذنًا أو أذنين؟ من سيكون أولًا؟».

«هذه أراضي وبير». كان الحفّار المُسنُّ رجلًا هزيلًا، شديدًا ومنحني الظهرِ «ليس لديك حقٌّ بأن تكون هنا. اقطع أي أُذنٍ وستغرقك سيدتي في كيس».

اقترب بينيس أكثر بحصانه «لا أرى أي سيداتٍ هُنا، لا أرى إلا فلاحًا ثرثارًا». ووخز صدر الحفّار البني العاري برأس سيفه، بقوة كافية على أن تُسِيل قطرة دم.

وفكّر دانك: *إنه يتمادى.*

وحذّره دانك «ضع سيفك، إن هذا ليس من صنعه، فالمايستر هو من كلفهم بهذه المهمة». وقال حفّارٌ ذو أذنين بارزتين «إنه من أجل المحاصيل يا سيدي. كان القمح يموت كما قال المايستر، وأشجار الإجاص أيضًا».
«حسنًا، إما أن تموت أشجار الإجاص، أو أن تموت أنت».
قال الرجل العجوز «كلامك لا يخيفنا».

«حقًا؟». جعل السير بينيس سيفه الطويل يُصفّر، وشقّ خد الرجل العجوز من الأذن إلى الفك «لقد قلت إما أن تموت أشجار الإجاص، أو تموت أنت». ونزف دم الحفّار أحمرًا على أحد جانبي وجهه.



وفكّر: *لم يكن يجب عليه أن يفعل هذا*. اضطر دانك بأن يكبح غضبه، فبينيس كان في صفه. وصرخ على الحفارين «اذهبوا من هنا، عودوا إلى قلعة سيدتكم».

وحثهم بينيس «اركضوا».

ثلاثة منهم تركوا أدواتهم وفعلوا كما قِيل لهم، وهرولوا خلال العشب. ولكن كان هنالك رجلٌ آخر كان مصابًا بحروق الشمس ومفتول العضلات، حمل معولًا وقال «إنهم اثنان فقط».

ولكن الرجل العجوز قال بينما كان ممسكًا وجهه والدم يقطر من بين أصابعه «المجارف ضد السيوف قتال حمقى يا جورجن، ولكن هذه لن تكون نهاية الأمر، لا تظن أنها كذلك».

«كلمةٌ أخرى وربما سأضع لك نهايتك».

قال دانك للرجل العجوز ذو الوجه الدامي «لم نكن نقصد أن نؤذيكم، كل ما نريده هو ماؤنا، أخبر سيدتك بهذا».

ووعدهم الرجل مفتول العضلات وهو لا يزال ممسكًا بالمعول «أوه، سنخبرها بهذا يا سيدي، هذا ما سنفعله».

في طريقهم إلى الديار، قطعا أعماق (غابة وات)، وكانا ممتنين على الظل الصغير الذي وفرته لهما الأشجار، وحتى رغم ذلك، كانا لا يزالان يُطبخان من الحرارة. من المفترض أن يكون هنالك غزلانٌ في الغابة، ولكن الشيء الوحيد الحي الذي رآه كان الذباب، كانوا يطنون حول وجه دانك بينما كان يركب، وتحركوا ببطئ حول عيني (رعد)، مما أثار غضب الحصان الحربي الضخم إلى حد كبير. كان الهواء هادئًا وخانقًا، وفكّر دانك: *على الأقل في دورن تكون الأيام جافة، ولكن في الليالي يصبح الجو باردًا حتى أرجف وأنا مرتديٌ ملابسي*. في المرعى كانت الليالي بالكاد أبرد من الأيام، حتى على هذا البعد شمالًا.

عندما خفض رأسه أسفل غصنٍ بارز، قطع دانك ورقةً وحطمها بأصابعه، وسقطت وكأنها مخطوطة عمرها ألفُ عام من بين يديه. وقال لبينيس «لم يكن هناك داعٍ لقطع خد ذلك الرجل».

«مجرد دغدغة على الخد، لتعلمه كيف يصون لسانه. كان علي أن أقطع عنقه اللعين، حينها فقط كان البقية ليركضوا كالأرانب، ثم سيكون علينا أن ندوسهم جميعًا».

قال دانك مشككًا «هل ستقتل عشرين رجلًا؟».

«بل اثنان وعشرون، اثنان إضافيان على جميع أصابعك وأصابع قدميك أيها الأخرق. يجب عليك أن تقتلهم جميعًا، وإلا سيذهبون وينشرون الحكايات». ودارا حول شَرَكٍ مهلك «كان يجب علينا أن نخبر السير عديم الفائدة بأن الجفاف قد جفف مجرى ماءه الصغير والمثير للشفقة».

«اسمه السير يوستاس. ثم إنك كنت لتكذب عليه».

«نعم، ولم لا؟ من سيخبره بغير ذلك؟ الذباب؟». وابتسم بينيس ابتسامة مبللة وحمراء «السير عديم الفائدة لا يغادر برجه أبدًا إلا لكي يزور الصبية في الأسفل عند أشجار التوت الأسود».

«السيف المقسم يُدين لسيده بالحقيقة».



«هنالك حقائقٌ وحقائق أيها الأخرق، وبعضها لا ينفع». ثم بصق «الآلهة تصنع الجفاف. والبشر لا يستطيعون أن يفعلوا شيئًا لعينًا بغيظًا واحدًا للآلهة. ولكن الأرملة الحمراء... لو أخبرنا السير عديم الفائدة بأن تلك الكلبة

أخذت ماءه، سيجبره شرفه على أن يسترده، انتظر وسترى، سيظن أن عليه أن يفعل شيئًا». «كما يجب عليه. عامّتنا يحتاجون هذا الماء من أجل محاصيلهم».

«عامتنا؟». نهق السير بينيس بضحكته «هل كنتُ ذاهبًا لكي أتغوط عندما جعلك السير عديم الفائدة وريثه؟ كم تعتقد أن لدينا من العامة؟ عشرة؟ وهذا يشمل ابن جين الأحول بسيط العقل الذي لا يعرف من أي نهاية يُمسك الفأس، اذهب واجعل كل واحد منهم فارسًا وسيكون لدينا نصف ما لدى الأرملة، ولا عليك بالمرافقين ورماة الأسهم والبقية. سوف تحتاج كلا يديك وقدميك لتعدهم جميعًا، وأصابع يد صبيك ذو الرأس الأصلع وأصابع قدميه أيضًا».

«لا أحتاج أصابع قدمي لكي أعد». كان دانك قد سئم من الحرارة، ومن الذباب، ومن صحبة الفارس البني، وفكّر: *ربما كان قد ركب مع السير أرلان يومًا ما، ولكن هذا كان قبل سنينٍ وسنينٍ عديدة، فالرجل أصبح لئيمًا وكاذبًا وجبانًا*. وضع كعبيه على حصانه ومضى قُدُمًا، ليضع الرائحة وراءه.

كانت (ستاندفاست) قلعةً على سبيل المجاملة فقط، على الرغم أنها وقفت بشموخٍ أعلى تلٍّ صخري، ومن الممكن أن تُرى من على بعد فراسخ عديدة حولها، ولكنها لم تكن أكثر من مجرد منزل، وبعض أجزاءها انهارت قبل عدة قرون وتطلبت إعادة بناء، ولذلك بُنِيَ الوجهان الشمالي والغربي بحجارة رمادية شاحبة أعلى النوافذ، وأسفل النوافذ كانت الحجارة سوداء وقديمة. وأضيفت أبراجٌ صغيرة على الأسقف خلال إعادة البناء، ولكن فقط على الجانبين الذين أُعيد بنائُهما، أما في الجانبين الآخرين فكان عليهما صخورٌ مشوهةٌ، تآكلت بسبب الرياح والجو حتى أنه كان من الصعب التوقع كيف كانت تبدو، وكان السقف المصنوع من خشب الصنوبر مستويًا، ولكنه كان مشوهًا وعرضةً للتسربات.

قادهم طريق متعرجٌ من أسفل التل إلى أعلى البرج، وكان ضيقًا جدًّا حيث أنهم لم يستطيعوا المشي عليه إلا في صفٍّ واحد. قاد دانك الطريق في

رحلة الصعود، وبينيس خلفه مباشرة. كان يستطيع أن يرى ايغ فوقهم، جالسًا على نتوءٍ حجري ومرتديًا قبعة القش المتدلي.
توقفا بأحصنتهما عند واجهة الاسطبل الصغير المبني من الجصّ والأغصان المجدولة، والذي كان يقع أسفل البرج، نصف مخفيٍّ تحت كومةٍ من الطحلب البنفسجي غير متماثل الشكل. كان حصان الرجل العجوز الرمادي والمخصيّ في أحد مرابط الأحصنة بجوارِ (مايستر). ويبدو أن كلًّا من ايغ وسام منحني الظهر قد أدخلا النبيذ إلى الداخل. وكانت الدجاجات تتجول في الساحة، وهرول ايغ قادمًا إليهما «هل عرفت ما حدث للمجرى؟».

«بنَت الأرملة الحمراء سدًّا عليه». ترجّل دانك من حصانه وأعطى عِنان (رعد) إلى ايغ «لا تدَعهُ يشرب كثيرًا دفعةً واحدةً».

«نعم يا سيدي، لن أفعل».
وناداه السير بينيس «يمكنك أن تأخذ حصاني أيضًا يا ولد».

أعطاه ايغ نظرةً وقحةً «أنا لست مرافقك».

وفكّر دانك: *لسانك هذا سيصيبك بأذًى يومًا من الأيام* «سوف تأخذ حصانه وإلا ستنالُ ضربة على أُذنك».

صنع ايغ وجهًا متجهمًا، ولكنه فعل ما قِيل له. ولكن بينما أخذ ايغ اللجام، تخنّع السير بينيس وبصق كتلة سميكة من البلغم الأحمر الذي كان يلمع بينما سقط على الصبي بين اثنين من أصابع قدمه، وأعطى للفارس البني نظرةً باردة «لقد بصقت على قدمي يا سيدي».

نزل بينيس بصعوبة على الأرض «نعم، وفي المرة القادمة سأبصق على وجهك. لا أرغب بالمزيد من لسانك اللعين».

يستطيع دانك أن يرى الغضب يلتمع في عيني الصبي، وقال قبل أن يتفاقم الأمر سوءًا «اعتنِ بالأحصنة يا ايغ، نحن نريد التحدث مع السير يوستاس».

كان المدخل الوحيد إلى ((ستاندفاست)) خلال باب من خشب السنديان والحديد، ويرتفع عشرين قدمًا فوقهم. كانت الأدراج السفلية عبارة عن كتل من الحجارة السوداء الملساء، وكانت متآكلة لدرجة أنها كانت مجوّفة في المنتصف. وإلى أعلى، كانت تفضي إلى درج خشبي شديد الانحدار من الممكن أن يتحول إلى جسر متحرك في أوقات الشدائد. أبعد دانك الدجاجات جانبًا وصعد درجتين في آنٍ واحد.

كانت ((ستاندفاست)) أكبر مما تبدو عليه. وشغلَت الأقبية جزءًا لا بأس به من التل الذي بُنيت عليه. وفي الأعلى كان البرج يتباهى بأربعة طوابق، وفي الاثنين العلويين كان هنالك نوافذُ وشُرفات، بينما في الاثنين السفليين لم يكن هنالك إلا فتحات رمي السهام. كان الجو أبرد في الداخل، ولكنه كان معتمًا للغاية حتى أن دانك اضطر لأن يجعل عينيه يتأقلمان مع العتمة. كانت زوجة سام منحني الظهر على ركبتيها بجانب الموقد وتمسح الرماد، وسألها دانك «هل السير يوستاس في الأعلى أم في الأسفل؟».

«في الأعلى يا سيدي». كانت الامرأة العجوز محدبة الظهر بشدّة حتى أن رأسها كان أخفضَ من كتفيها «لقد عاد للتو من زيارة الصبية في الأسفل عند أشجار التوت الأسود».

الصبية هم أولاد يوستاس أوزجري: إدوين، هارولد، آدام. كان كل من إدوين وهارولد فارسين، بينما كان آدام مرافقًا شابًا. كانوا قد ماتوا في حقل العشب الأحمر قبل خمسة عشر عامًا، في نهاية تمرد آل بلاكفاير، وقال السير يوستاس لدانك «لقد ماتوا ميتات جيدة، وهم يقاتلون بشجاعة من أجل الملك، وأحضرتهم إلى الديار ودفنتهم بين أشجار التوت الأسود». كانت زوجته قد دفنت هنالك أيضًا. وكلما فتح الرجل العجوز برميلًا من النبيذ، كان يذهب إلى أسفل التل ليسكب لكل واحد من الصبية شرابًا، وكان يقول بصوتٍ عالٍ قبل أن يشرب «نخب الملك!».

كانت غرفة السير يوستاس تشغل الطابق الرابع من البرج، وغرفته الشمسية تحتها مباشرة. كان دانك يعلم أنه سيجده هنالك، يتسكع بين الصناديق والبراميل. كان هنالك أسلحة صدئة ورايات مستولى عليها معلّقة

على جدران الغرفة الشمسية الرمادية السميكة، غنائم من معارك حوربت قبل قرون طويلة، ولا يتذكرها أحد الآن إلا السير يوستاس. نصف الرايات كانت متعفنة، وجميعها كانت باهتة بشكل سيء، ومغطاة بالغبار، وألوانها التي كانت سابقًا فاقعة أصبحت رمادية وخضراء.

كان السير يوستاس يزيلُ التراب من على ترسٍ محطّم باستخدام خرقةٍ عندما ظهر دانك من على الأدراج، وتبعه بينيس متعطرًا خلفه مباشرة، بدَت عيني الفارس العجوز مبتهجةً قليلًا على مرأى دانك، وأعلن «عملاقي الطيب، والسير بينيس الشجاع، تعالا وألقيا نظرة على هذا، وجدته أسفل ذلك الصندوق، إنه كنز، ولكني أخشى بأنه مهمل».

لقد كان ترسًا، أو ما تبقى منه بالأحرى، فقد كان المتبقي منه القليل فقط. وتقريبًا نصفه كان منزوعًا، وكان المتبقي منه رماديًا ومتهشمًا، وكان الإطار الحديدي الصلب صدئًا، والخشب مليئٌ بالثقوب. بعض قشور الدهان كانت لا تزال عالقة فيه، ولكنها كانت قليلة جدًّا على أن يقترح شعارًا للترس.



وقال دانك «يا حضرة اللورد، ماهذا؟». لم يكونوا آل أوزجري لورداتٍ منذ قرون، ولكن كان يُسعد السير يوستاس بأن يلقّب هكذا.

«ترسُ الأسد الصغير». مسح الرجل العجوز على حافة الترس وتقشرت بعض الرقاقات الصدئة «حمل السير ويلبيرت أوزجري هذا في المعركة التي مات فيها. أنا متأكد من أنكما تعرفان الحكاية».

وقال السير بينيس «كلا يا سيدي، يُصادَف أننا لا نعرفها. هل قلتَ الأسدَ الصغير؟ هل كان قزمًا أو ما شابه؟».

ارتعش شارب الفارس العجوز «بالطبع لا. كان السير ويلبيرت رجلًا طويلًا وقويًّا، وفارسًا عظيمًا. أعطي له هذا الاسم بينما كان في طفولته، فقد كان أصغر إخوته الخمسة. وفي أيامه كان هنالك لا يزال سبعة ملوك في الممالك السبع، وكانت مملكة المرعى والصخرة غالبًا في حالة حرب. كان الملوك

الخضر يحكموننا حينها، آل جاردنر، كانوا من دم جارث ذو اليد الخضراء العجوز، رايتهم الملكية يدٌ خضراء على ساحة بيضاء. أخذ جايلس الثالث راياتِه شرقًا ليحارب ضد ملك العاصفة، وذهب إخوة ويلبيرت جميعهم معه، ففي تلك الأيام كان الأسد المربع دائمًا ما يرفرف جانب اليد الخضراء عندما يذهب ملك المرعى للمعارك.

ولكن بينما كان الملك جايلس بعيدًا، وجد ملك الصخرة فرصةً ليقتطع قضمة من المرعى، وهكذا جمع جيشًا من الغربيين وجاءوا علينا. كانوا آل أوزجري حماة التخوم الشمالية، لذلك وقع على عاتق الأسد الصغير بأن يواجههم، كان الملك لانسل الرابع هو من يقود آل لانستر كما أذكر، أو ربما الخامس. قطع السير ويلبيرت طريق الملك لانسل، وعرض عليه التوقف وقال «لا تتقدموا أكثر من هذا، فأنتم غير مرغوبٍ بكم هنا، وأنا أمنعكم من أن تضعوا قدمًا على المرعى». ولكن أمر لانستر راياته بالتقدم.



تقاتلوا لمدة نصف يوم، الأسد الذهبي ضد الأسد المربع. كان لانستر مسلحًا بسيف فاليري لا يستطيع أي فولاذ عاديٍّ مجابهته، لذلك كان الأسد الصغير مرهقًا وتحت ضغط وهجومٍ شديد، وترسه أصبح خرابًا، وفي النهاية كان ينزف من عدة جروحٍ بليغةٍ، وسيفه محطم بيديه، ورمى نفسه بتهورٍ على خصمه. كاد الملك لأنسل أن يقطعه إلى نصفين كما يقول المغنُّون، ولكن بينما كان يموت، وجد الأسد الصغير فجوةً في درع الملك تحت ذراعه وغرز خنجره فيها. وعندما مات ملكهم عاد الغربيون إلى ديارهم، وأُنقذ المرعى». ولمس الرجل العجوز الترس المكسور برقّةٍ كما لو أنه كان طفلًا.

قال بينيس بصوتٍ أجشّ «نعم يا سيدي، يمكننا أن نستخدم رجلًا كهذا اليوم. أنا ودانك ألقينا نظرة على مجرى مياهك يا سيدي، كان جافًّا كالعظام، وليس بسبب الجفاف».

وضع الرجل العجوز الترس جانبًا «أخبرني». وجلس وأشار لهما بأن يفعلا الشيء نفسه. وبينما انطلق الفارس البني بسرد الحكاية، جلس يُنصت باهتمام، وذقنه مرتفع وكتفيه منحنيان للوراء، كان مستقيمًا كالرمح.

في شبابه، لا بد أن السير يوستاس كان مثالًا يحتذى به في الشهامة والنبل، حيث كان طويلًا وعريضًا ووسيمًا، ولكن الدهر والأسى أثرا عليه، لكنه لا يزال منتصب القامة. كان رجلًا كبير البنية وعريض المنكبين ومفلوت الصدر، وملامحه قوية وحادة كملامح نسرٍ عجوز. كان شعره القصير قد أصبح أبيضًا كالحليب، لكن شاربه الكثيف الذي كان يغطي فمه بقي رصاصيًا أرمدًا، وكان لحاجبيه اللون نفسه، وكانت عينيه متواريتان خلف درجة أبهت من الرمادي، ومليئتان بالحزن.

وبديتا أكثر حزنًا عندما تعرّض بينيس لموضوع السد. وقال الرجل العجوز «ذلك المجرى كان يُعرف بـ(المياه المربّعة) منذ ألف سنة أو أكثر، لقد صِدت السمك هنالك وأنا صبي، وجميع أبنائي فعلوا الشيء نفسه، كانت أليسان تحب أن تنثر المياه الضحلة في أيام الصيف الحارة كأيامنا هذه». كانت أليسان ابنته، التي ماتت في الربيع «وهنالك على ضفاف مجرى

(المياه المربّعة) قبّلتُ فتاة للمرة الأولى. كانت قريبة لي، ابنة عمي الصغرى، من آل أوزجري من (البحيرة المُورِقة). ولكنهم ميتون كلهم الآن، حتى هي». وارتعش شاربه «هذا لا يُحتمل أيها الفارسان. المرأة لن تحصل على مياهي، إنها لن تنال مياهي المربعة!».

ولكن بينيس حذره «إنّ بنية السد قوية يا سيدي، وهو قوي جدًّا على أن أهدمه أنا ودانك في ساعة، حتى مع الصبي ذو الرأس الأصلع ليساعدنا. سنحتاج إلى حبال ومعاول وفؤوس، ودستة من الرجال، وهذا فقط من أجل العمل، وليس للقتال».

حدّق السير يوستاس على ترس الأسد الصغير، وتنحنح دانك «يا سيدي، بالنسبة إلى هذا، عندما وجدنا الحفارين، حسنًا...».

وقال بينيس «لا تزعج سيدي بالتوافه يا دانك، لقد علمت أحد الحمقى درسًا، وهذا كان كل ما في الأمر».
رفع السير يوستاس عينيه فجأة «أي نوع من الدروس؟».

«درسٌ بسيفي، مجرد دم بسيطٍ على خدّه، كان هذا كل ما في الأمر يا سيدي».

نظر إليه الفارس العجوز طويلًا «هذا...هذا لم يكن حكيمًا يا سيدي. المرأة لديها قلب عنكبوت. لقد قتلت ثلاثة من أزواجها، وجميع إخوتها ماتوا في لُفافاتهم. كانوا خمسة، أو ربما ستة، فأنا لا أذكر. ولكنهم وقفوا بينها وبين القلعة. إنها تضرب جلد أي فلاحٍ يُضايقها بالسوط، لا أشك في هذا، ولكن أن تجرح أحدهم...إنها لن تحتمل هذه الإهانة، كلا، تأكد بأنها لن تفعل، سوف تأتي إليك كما جاءت إلى ليم».

وقال السير بينيس «كان اسمه دايك يا سيدي، أستميح معذرتك اللوردية، فأنت عرفته وأنا لم أفعل، ولكن اسمه كان دايك».

وقال دانك «يمكنني الذهاب إلى (البستان الذهبي) وأُخبر اللورد روان عن هذا السد. إذا كان هذا يرضيك يا سيدي». كان روان لورد الفارس العجوز الحامي، والأرملة الحمراء تسيطر على أراضيها من أجله أيضًا.

«روان؟ كلا، لا تنشُد مساعدةً هنالك. أخت اللورد روان تزوجت ابن عم اللورد وايمان المسمّى ويندل، لذلك يُعتبر قريبًا للأرملة الحمراء، وبجانب ذلك فهو لا يحبني إطلاقًا. أريدك في الغد يا سير دانكن أن تأخذ جولة على جميع قُراي، وتأخذ كل رجل سليم الجسد وفي عمر القتال، أنا مسنٌّ، ولكني لم أمُت بعد، وستعرف المرأة قريبًا بأن الأسد المربع لا يزال يمتلك مخالبًا!».

وفكّر دانك بكآبة: *مخلبين فقط، وأنا واحد منهم.*



كانت أراضي السير يوستاس تدعم ثلاث قرى صغيرة، ليست أكثر من بعض المنازل المتواضعة وزرائب الغنم والخنازير، كانت القرية الكبرى تتباهى بسپتٍ ذو غرفة واحدة مسقوفٍ بالقش، وفيه صورٌ بدائية للسبعة مخربشةً على الجدران بالفحم. كانت مادج محنية الظهر ومربية الخنازير التي ذهبت مرة إلى البلدة القديمة هي من تقود صلواتهم في كل يومٍ سابع من كل شهر. ومرتين في السنة يأتيهم سپتون حقيقي ليغفر خطاياهم باسم الأم، كان العامة يَسعَدون بهذه المغفرة، ولكنهم كرهوا زيارات السپتون رغم ذلك، حيث كانوا مطالبين بإطعامه.

ولم يكونوا مسرورين أكثر عندما رأوا دانك وايغ. كان دانك معروفًا في القرى، ولو فقط بكونه فارس السير يوستاس الجديد، ولكنهم لم يعرضوا عليه أكثر من كوب ماء. معظم الرجال كانوا في الحقول، لذلك كان معظم من انسلّوا من المنازل المتواضعة نساءً وأطفالًا، مع بعض الأجداد أيضًا الذين كانوا واهنين جدًّا على أن يعملوا. حمل ايغ راية آل أوزجري، الأسد المربع بالأخضر والذهبي، وأخبرهم دانك «لقد جئنا من ((ستاندفاست)) مع أمر السير يوستاس باستدعائكم. كل رجل سليم الجسد بين عمر الخامسة عشرة والخمسين عامًا مأمور بالحضور يوم غدٍ في البرج».

وسألت امرأة نحيلة «أهيَ الحرب؟». كان هنالك طفلان يختبئان خلف تنورتها، ورضيع يرضع من صدرها «هل جاء التنين الأسود مجددًا؟».

وأخبرها دانك «ليس هنالك تنانين في هذا الأمر، سواءً حمراء أو سوداء. هذه حرب بين الأسد المربع والعنكبوت، لقد سرقت الأرملة الحمراء مائكم».

أومأت المرأة رأسها، ولكنها نظرت بارتياب عندما خلع ايغ قبعته ليبرّد وجهه «لا يملك هذا الصبي شعرًا. أهو مريض؟».

وقال ايغ «إنه محلوق». ووضع قبعته مجددًا وأدار رأس (مايستر) وغادر ببطء.



فكّر دانك: *يبدو الصبي في مزاج شائكٍ اليوم*. كان بالكاد قد تفوّه بكلمة منذ أن انطلقا. أعطى دانك حصانه (رعد) لمسة على مهمازه ولحق بالبغل، وسأل مرافقه المتجهم «هل أنت غاضب لأني لم آخذ صفك ضد السير بينيس في الأمس؟ أنا لا أحب الرجل أكثر مما تحبه أنت، ولكنه فارس، ويجب أن تتحدث معه بأدب».

وقال الصبي «أنا مرافقك، ولستُ مرافقه. إنه قذر ولئيم اللسان، ثم إنه يقرصني».

وفكّر دانك: *لو كان لديه فكرة عمّن تكون، سيتبول على نفسه قبل أن يضع إصبعًا عليك* «لقد اعتاد أن يقرصني أيضًا». كان دانك قد نسي هذا حتى ذكرته به كلمات ايغ. كان السير بينيس والسير أرلان ضمن مجموعة من الفرسان استأجرهم تاجرٌ دورني ليحرصوا على وصوله سالمًا من (لانسپورت) إلى (ممر الأمير). لم يكن دانك أكبر من ايغ وقتها، ولكنه كان أطول، وفكّر دانك: *كان يقرصني أسفل ذراعي بقوة حتى أنه كان يترك كدماتٍ عليها، كانت أصابعه كالكماشات الحديدية، ولكني لم أُخبر السير أرلان بهذا أبدًا*. أحد الفرسان الآخرين كان قد اختفى قُرب (السپت الحجري)، وأُشيع بأن بينيس بَقَرَ معدته وأخرج أحشاءه بينما كانا يتشاجران «إذا قرصك مجددًا، أخبرني وسأُنهي الأمر. وحتى ذلك الحين، لن يكلفك الاعتناء بحصانه شيئًا».

وأقرّ ايغ على هذا «على أحدهم أن يفعل. بينيس لا ينظف حصانه، ولا ينظف مربطه أيضًا، إنه لم يسمّه حتى!».

وقال له دانك «بعض الفرسان لا يسمّون أحصنتهم أبدًا، وبهذه الطريقة عندما يموتون، لا يكون حزنهم كبيرًا حيث لا يستطيعون احتماله. فهنالك دائمًا أحصنة كثيرة لامتلاكها. ولكن من الصعب أن تفقد صديقًا مخلصًا». وفكّر دانك: *أو هكذا اعتاد الرجل العجوز بأن يقول، ولكنه لم يلتزم بنصيحته. وسمّى كل حصان يمتكله*. وهكذا فعل دانك «سوف نرى كم رجلًا سيأتي في البرج، ولكن ما إذا كانوا خمسة أو خمسين، يجب عليك أن تعتني بأحصنتهم أيضًا».

بدا ايغ ساخطًا وقال «يجب علي أن أخدم العامة؟».

«ليست خدمة، بل مساعدة. يجب علينا أن نجعل منهم مقاتلين». وفكّر دانك: *لو أعطتنا الأرملة وقتًا كافيًا* «ولو شاءت الآلهة، سيكون البعض قد جُنِّدوا مسبقًا، ولكن معظمهم سيكونون خُضرًا كعشب الصيف، ومعظمهم

معتاد على حمل المجارف أكثر من الحِراب، ورغم ذلك، ربما يأتي يومٌ قد تعتمد فيه حياتنا عليهم. كم كان عمرك عندما أخذت سيفًا لأول مرة؟».

«كنت صغيرًا يا سيدي، وكان السيف مصنوعًا من الخشب».

«أولاد العامة يقاتلون بالسيوف الخشبية أيضًا، لكن سيوفهم عبارة عن عِصِيٍّ وأغصان مكسورة. ربما يبدو هؤلاء الرجال حمقى بالنسبة لك يا ايغ، فهم لن يعرفوا الأسماء المناسبة لأجزاء الدرع، ولا الشعارات الخاصة بالعوائل النبيلة، ولن يعرفوا أيَّ ملكٍ هو الذي ألغى حق اللوردات بالليلة الأولى... ولكن عاملهم باحترام على حدٍّ سواء. أنت مرافقٌ ولدت من دمٍ نبيل، ولكنك لا تزال صبيًا، ومعظمهم سيكونون رجالًا بالغين، والرجل يتمسك بكبريائه مهما كانت وضاعة ميلاده. كنت لتبدو ضائعًا وغبيًا مثلهم تمامًا في قريتهم، ولو كنت تشكُّ في هذا حاول أن تَعزِقَ صفًّا من حقلٍ ما أو أن تجُزَّ صوفَ خروفٍ، وأخبرني أسماء كل الأعشاب الضارة والأزهار البرية في (غابة وات)».

تمعن الصبي في هذا لوهلة وقال «أستطيع أن أُعلمهم شعارات العوائل النبيلة، وكيف استطاعت الملكة أليسان إقناع الملك جهيريس بإلغاء الليلة الأولى، وهم يستطيعون تعليمي أيُّ الأعشاب الضارة أفضل لصنع السموم، وإذا ما كانت هذه الثمار آمنة للأكل أم لا».

وأقرّ دانك وقال «نعم، يستطيعون. ولكن قبل أن تتطرق للملك جهيريس، من الأفضل أن تساعدنا في تعليمهم كيف يستخدمون حربةً. ولا تأكل أي شيء لا يأكله (مايستر)».



في اليوم التالي وجد دستة من الذين سيصبحون محاربين طريقهم إلى ((ستاندفاست)) ليجتمعوا بين الدجاجات. أحدهم كان مُسنًّا جدًّا، واثنين كان صغيرين، وولدٌ نحيل تبيّن بأنه فتاة نحيلة، هولاء أرسلهم دانك مجددًا إلى قُراهم، مما ترك له ثمانية: ثلاثة اسمهم وات، اثنين اسمهم ويل، ليم، بايت، وروب الكبير بسيط العقل. ولم يستطع دانك إلا أن يفكر: *مجموعة بائسة*. أبناء الفلاحين الضِّخام والوسيمين الذين كسبوا قلوب العذراوات النبيلات في الأغاني لم يكن لهم وجود هنا. كل رجلٍ كان أقذر من الآخر، كان ليم ذو خمسين عامًا على الأقل، وكان لدى بايت عينين دامعتين، وكانا الوحيدين الذين جُنِّدا من قبل. كلاهما ذهب مع السير يوستاس وأبناءه ليقاتلوا في تمرد آل بلاكفاير. كان الستة الآخرون صبية خضرًا كما كان يخشى دانك. كل الثمانية كان لديهم قمل، واثنين من الذين اسمهم وات كانا

أخوين، وقال السير بينيس وهو يقوقؤ «أظن أن أمكما لم تعرف اسمًا آخرًا».

تفاوتت الأسلحة التي أحضروها، حيث أحضروا معولًا، وثلاثة فؤوس، وسكينًا قديمة، وبعض الهراوات الخشبية القوية. كان لدى ليم عصا مسننة قد تؤدي نفعًا كحربة، وأحد اللذين اسمهم ويل أعلن بأنه جيدٌ برمي الأحجار، وقال بينيس «عظيمٌ جدًّا، لدينا منجنيقٌ لعين». بعد ذلك أصبح الرجل يُعرف بتريب.

وسألهم دانك «أيوجد أحدٌ منكم ماهرٌ في استخدام القوس الطويل؟».

جرجَرَ الرجال أقدامهم على التراب بينما نقرت الدجاجات الأرض حولهم. وأجاب بايت ذو العينين الدامعتين أخيرًا «أستميحك عذرًا يا سيدي، ولكن سيدي لا يسمح لنا باستخدام القوس الطويل، فغزلان أوزجري مِلكٌ للأسد المربع، وليست لمن هم على شاكلتنا».



وأراد أصغر الثلاثة الذين اسمهم وات أن يعرف «هل سنحصل على سيوفٍ وخُوَذٍ ودروع؟».

وقال بينيس «بالطبع، ولمَ لا، فقط عليك أن تقتل واحدًا من فرسان الأرملة وتجرد جثته. ولا تنسَ أن تُدخل ذراعك بمؤخرة حصانه أيضًا، فهنالك ستجد فضته». وقرص وات الصغير أسفل ذراعه حتى صرخ الصبي من الألم، ثم زحف بالمجموعة جميعها مغادرًا إلى (غابة وات) ليقطعوا لأنفسهم بعض الحِراب.

وعندما عادوا، كان بحوزتهم ثمانِ حرابٍ قوّتها النار، متباينة الطول بشكل ملحوظ، وتروسًا بدائية من الأغصان المجدولة، صنع السير بينيس لنفسه حربةً أيضًا، وعلمهم كيف يهجمون ويطعنون بالرأس المدبب، وأن يستخدموا عصا الحربة ليتفادوا الهجمات... وأين يضعون الرأس المدبب ليقتلوا «أجد أن المعدة والحلق هما الخياران الأفضل». وضرب بقبضته على صدره «هنا مكان القلب، وهو سيؤدي الغرض أيضًا، ولكن المشكلة هي أن الأضلاع تعترض الطريق. المعدة رقيقة ورخوة. بَقْرُ البطن ميتة بطيئة، ولكنها مؤكدة. لم أعرف رجلًا قط عاشَ وأحشاءه تتدلى، وإذا جاء

أحمقٌ ودار بظهره عليك ضع رأس حربتك بين ألواح كتفيه أو خلال كليته، وهذه هنا، إنهم لا يعيشون طويلًا بمجرد أن تخزهم في كليتهم».

وجود ثلاثة اسمهم وات في مجموعتهم سبب ارتباكًا عندما حاول بينيس بأن يخبرهم ما يفعلونه، واقترح ايغ «يجب علينا أن نعطيهم أسماء قراهم يا سيدي، مثل سيدك القديم، السير أرلان من شجرة البنسات». كان هذا لينفع، لولا أن قراهم ليست لديها أسماءٌ أيضًا، وقال ايغ «حسنًا، يمكننا أن نطلق عليهم أسماءَ محاصيلهم يا سيدي». إحدى القرى كانت تقع بين حقول الفاصولياء، وأخرى كانت غالبًا ما تزرع الشعير، والثالثة كانت تزرع صفوفًا من الكرنب، والجزر، والبصل، واللُّفت، والبطيخ، لم يرغب أحدٌ بأن يكون كرنبةً أو لُفتةً، ولذلك أصبحت الفرقة الأخيرة تُدعى بالبطيخات. وهكذا أصبح لديهم أربعُ حبات شعير، وبطيختين، وفاصوليتين، ولأن الأخوين وات كانا كليهما حبّتَي شعير، تطلب ذلك تمييزًا إضافيًا، وعندما ذكر الأخ الأصغر بأنه سقط مرّة أسفل بئر القرية، لقبّه بينيس بـ"وات المبلل"، وهكذا انتهى الأمر. كان الرجال منتشين لأنهم أُعطيوا "أسماء اللوردات"، ماعدا روب الكبير، الذي يبدو أنه لا يستطيع أن يتذكر إذا ما كان فاصولياءً أم حبة شعير.

بمجرّد أن حصل جميعهم على أسماءَ وحراب، خرج السير يوستاس من ((ستاندفاست)) ليُخاطبهم. ووقف الفارس العجوز خارج باب القلعة، مرتديًا درعه وصفائحه المعدنية تحت معطفٍ طويلٍ مصنوع من الصوف، والذي تحول مع الوقت إلى أصفرٍ أكثر من كونه أبيضًا. وعلى الجهة الأمامية والخلفية حملت الأسد المربع، الذي خُيِّط بمربعات صغيرة من الأخضر والذهبي، وقال «أيها الصبية، جميعكم تتذكرون دايك، الذي وضعته الأرملة الحمراء في كيسٍ وأغرقته. لقد سلبته حياته، والآن تفكر بأن تسلب منا مياهنا أيضًا، (المياهُ المربعة) التي تغذي محاصيلنا... ولكنها لن تفعل!». ورفع سيفه فوق رأسه وقال بصوتٍ مدوٍّ «من أجل أوزجري! من أجل ((ستاندفاست))!».

وردّد دانك «أوزجري!». وردد ايغ والجنود معه «أوزجري! أوزجري! من أجل ((ستاندفاست))!».

أخضع دانك وبينيس الفرقة الصغيرة للتدريب بين الخنازير والدجاجات، بينما شاهد السير يوستاس من أعلى الشُّرفة، وملأ سام منحني الظهر بعض الأكياس القديمة بالقش المتسخ. وأصبح هؤلاء أعداءهم، وبدأ المجندون التدريب على استخدام حرابهم بينما جأر بينيس عليهم «اطعن وإلوِ وأخرِج، اطعن وإلوِ وأخرِج، ولكن أسقطوا هذا الشيء اللعين! سوف تريدون هذا وبشدة في المرة القادمة. أنت بطيء جدًّا يا تريب، بطيءٌ وبشدة، إذا لم تستطع فعلها أسرع فعُد إلى رمي الحجارة، ضع حملك خلف الضربة يا ليم. أحسنت. أدخِل وأخرِج، أدخِل وأخرِج، نِكهم بها، هذه هي الطريقة، أدخِل وأخرِج، مزقهم، قطعهم، شُقَّهم».

وعندما قُطّعت الأكياس إلى قطع بواسطة خمسمئة طعنة حربة وخرج كل القشِّ مندفعًا على الأرض، ارتدى دانك درعه وصفائحه المعدنية وأخذ سيفًا خشبيًّا ليرى كيف سيكون أداء الرجال ضد خصمٍ تدبُّ فيه الحياة.

وكان الجواب: *ليس جيدًا جدًّا*. فقط تريب هو الذي كان سريعًا بما فيه الكفاية ليجعل حربته تتجاوز تُرس دانك، وفعلها مرة واحدة فقط، وتصدى دانك لهجمة خرقاء بعد الأخرى، ونحّى حرابهم جانبًا، واقترب منهم مهاجمًا. لو كان سيفه مصنوعًا من الفولاذ بدلًا من خشب الصنوبر لكان قد قتل كل واحدٍ منهم نصف دستة من المرات، وحذرهم دانك «أنتم ميتون بمجرد أن أتجاوز رؤوس حرابكم». وبدأ يهاجم بقوة شديدة على أذرعهم وأرجلهم ليوصل إليهم الدرس، وعاجلًا تعلم تريب وليم ووات المبلل كيف يخسرون على الأقل. كان روب الكبير قد رمى حربته وهرب، واضطر بينيس أن يلاحقه وأن يجرّه باكيًا، وفي نهاية الظهيرة وجد أن جميعهم كانوا مكدومين ومحطمين، وظهرت بثورٌ جديدة على أيديهم المتصلبة حيث كانوا يمسكون حِرابهم. لم يحمل دانك أيًّا من هذه البُقع، ولكنه كان نصفَ غارقٍ في العرق عندما ساعده ايغ لكي ينزع درعه.



بينما كانت الشمس تغرُب، تقدم دانك بمجموعتهم الصغيرة إلى أسفلِ قبوٍ وأجبرهم جميعًا على أن يستحموا، حتى اولئك الذين قد استحموا في الشتاء المنصرم. بعد ذلك، جلبت لهم زوجة سام منحني الظهر أطباقًا من اليخنة للجميع، مليئةٌ بالجزر والبصل والشعير، كان الرجال مُنهكون تمامًا، ولكن أن يسمعهم يتحدثون هكذا، كل واحدٍ منهم سيكون قريبًا أكثر فتكًا مرتين من فارسٍ في الحرس الملكي، وهم يستطيعون بالكاد أن ينتظروا ليثبتوا بسالتهم، وحفزهم بينيس بإخبارهم عن المِتَع في حياة الجندي، الغنائم والنساء بشكلٍ خاص، واتفق العاملان العجوزان معه، كان ليم قد أحضر معه سكينًا وزوجًا من الأحذية الأنيقة من تمرد آل بلاكفاير. وأخبرهم عنها؛ كانت الأحذية صغيرةً عليه ليرتديها، ولكنه علّقها على جداره. ولم يستطع بايت التوقف عن الحديث عن بعض تابعي المخيمات الذين عرفهم وهو يتبع التنين.

أعدّ لهم سام منحني الظهر ثمانية أسرّةٍ من القش في السراديب. ولذلك بمجرد وأن مُلئت بطونهم ذهب جميعهم إلى النوم. بقي بينيس فترةً أطول ليعطي دانك نظرةً مشمئزةً، وقال «كان على السير عديم الفائدة أن يضاجع المزيد من فتيات الفلاحين حينما كان لا يزال لديه سائلٌ في خصيتيه الهزيلتين المسنّتين. لو كان قد زرع لنفسه حصيلة كافيةً من النغول حينها، لربما كان لدينا بعض الجنود الآن». «إنهم لا يبدون أسوأ من أي من جماعة الفلاحين المجندين». كان دانك قد سارَ مع القليل منهم بينما كان مرافقًا للسير أرلان.

وقال بينيس «صحيح، وخلال أسبوعين قد يعتمدون على أنفسهم ضد جماعة أخرى من الفلاحين، ولكن ماذا عن الفرسان؟». وهزّ رأسه وبصق.

كان بئر ((ستاندفاست)) يقع في القبو التحتي، في غرفةٍ شديدة الرطوبة ومسوّرةٍ بالصخور والتراب. وهنالك كانت زوجة سام منحني الظهر تُنقّع الملابس وتفركهم وتحركهم بقوة قبل أن تحملهم إلى أعلى السقف لتجفّ. كان الطشت الحجري الكبير يُستخدم للاستحمام أيضًا. وتطلب الاستحمام سحب الماء من البئر دلوًا تلوَ الآخر، وتسخينه فوق الموقد

بمغلاةٍ حديدية كبيرة. ثم تفريغ المغلاة في الحوض، ثم تبدأ العملية بأكملها من جديد. تطلّب أربعة دِلاءٍ لملئ المغلاة، وثلاث غلايات لملئ الحوض. وفي الوقت الذي سخنت به المغلاة الأخيرة، كان الماء من الأولى قد برُد وأصبح فاترًا. كان السير بينيس قد سُمع وهو يقول بأن الشيء بأكمله كان مضجرًا إلى حدٍّ فضيع، وكان سببًا في كونه عجًّا بالقمل والذباب وكون رائحته كالجبنة العفنة.

على الأقل، كان لدى دانك ايغ ليساعده عندما يكون في حاجةٍ ملحةٍ لحمّام جيّد كما فعل الليلة. سحب الصبي الماء في صمتٍ كئيبٍ وبالكاد تفوّه بكلمةٍ بينما كان يغلي، وسأل دانك بينما كانت المغلاة الأخيرة على وشك الغليان «ايغ؟ هل هنالك شيءٌ يضايقك؟». وقال عندما لم يرد ايغ «ساعدني بصبّ المغلاة».

ومعًا كافحا لحمله من الموقد إلى الحوض، وحرصا على ألا ينثرا الماء على نفسيهما. وسأل الصبي «سيدي، ماذا الذي ينوي السير يوستاس فعله على ما تعتقد؟».

«أن يهدم السد، وأن يقاوم رجال الأرملة إذا حاولوا إيقافنا». وتكلّم بصوتٍ عالٍ، لكي يُسمع بصوتٍ أعلى من تناثر مياه الاستحمام. تصاعد البخار في ستائرَ بيضاءٍ بينما كانا يصبّان. مما جعل وجهه يحمرُّ.

«إنّ تروسهم من الأخشاب المجدولة، وتستطيع حربةٌ أن تنفُذ خلالها، أو سهم نشابيّة».

«قد نجد بعض أجزاء الدروع لهم، عندما يكونون مستعدين». كان هذا أفضل ما يُمكن أن يأملوه.

«قد يُقتلون يا سيدي. وات المبلل لا يزال نصف صبيّ، وويل حبّةُ الشعير سيتزوج في المرة القادمة التي سيأتي فيها السپتون. وروب الكبير لا يعرف حتى قدمه اليسرى من اليمنى».
ترك دانك المغلاة الفارغة ترتطم بأرضية التربة الصلبة «كان روجر من شجرة البنسات أصغرَ من وات المبلل عندما مات في حقل العشب

الأحمر. وكان هنالك رجالٌ في جيش والدك الذين تزوجوا لتوهم، ورجالٌ آخرون لم يقبلوا فتاةً حتى. وكان هنالك مئاتٌ لم يعرفوا قدمهم اليمنى من اليسرى، وربما الآلاف».

وأصرّ ايغ «كان ذلك مختلفًا، فتلك كانت حربًا».

«وهذه أيضًا. الشيءُ نفسُه ولكن أصغر».

«أصغرَ وأغبى، يا سيدي».

وأخبره دانك «لستَ أنت أو أنا من يحدد هذا. إنّ من واجبهم أن يذهبوا للحرب عندما يستدعيهم السير يوستاس... وأن يموتوا، إذا لزم الأمر».

«إذًا لم يكُن يجب علينا أن نسميّهم يا سيدي. فهذا لن يساعد إلا على جعل الحزن أقسى علينا عندما يموتون». وضيّق ايغ وجهه «إذا استخدمنا حذاءي—».

«كلا». ووقف دانك على ساقٍ واحدة لينزع حذاءه.

«نعم، ولكن أبي—».

«كلا». وذهب الحذاء الثاني كما ذهب الحذاء الأول.

«نحن—».

«كلا». ونزع دانك سترته المبقعة بالعرق ورماها لايغ «اطلب من زوجة سام منحني الظهر أن تغسل هذا لي».

«سأفعل يا سيدي، ولكن—».
«لقد قلت لا، هل تحتاج ضربة على الأذن لكي تساعدك على السماع بشكلٍ أفضل؟». وحلّ أربطة سراويله، وتحتها لم يكن هنالك إلا هو؛ فقد كان الجو حارًّا للبس الملابس الداخلية «من الجيّد أنك قَلِقٌ على وات ووات

ووات وبقيتهم، ولكن الحذاء مخصصٌ للحاجة الشديدة». وفكّر دانك: *كم عينًا يمتلك اللورد الغراب الدامي؟ ألف عين، وعين واحدة* «ماذا قال لك والدك عندما أرسلك لتصبح مرافقًا لي؟».

وقال الصبيُّ بترددٍ واضح «بأن أُبقي شعري محلوقًا أو مصبوغًا، وألا أُقول لأي أحدٍ اسمي الحقيقي».

كان ايغ قد خدم دانك قُرابة عامٍ ونصف، إلا أنها في بعض الأيام تبدو وكأنها عشرون عامًا. كانا قد صعدا ممر الأمير معًا، وقطعا رمال دورن العميقة أحمرها وأبيضها، وأخذهما قاربٌ جنوبًا من الدم الأخضر إلى بلدة الأخشاب، حيث رحلا من هنالك إلى البلدة القديمة على سفينة (السيدة البيضاء)، كانا قد ناما في الاسطبلات والحانات والأزقة، وأكلا الخبز مع الإخوة الأتقياء، والعاهرات، والممثلين، وتتبّعا المئات من عروض الدمى. أبقى ايغ حصان دانك مسيّسًا، وسيفه الطويل حادًّا، ودرعه خاليًا من الصدأ. كان صاحبًا جيّدًا مثل أي صاحبٍ يأمل فيه الرجل. وأصبح الفارس المتجول يعتقد بأنه كأخيه الصغير تقريبًا.

وفكّر دانك: *لكنه ليس كذلك. هذه البيضة فقست من التنانين، وليس من الدجاجات*. قد يكون ايغ مرافقًا لفارس متجول، ولكن ايغون من آل تارغيريان كان الابن الرابع والأصغر لمايكار أمير قلعة الصيف، والذي هو بنفسه ابنٌ رابع للملك الراحل دايرون الطيب الثاني من اسمه، الذي جلس على العرش الحديدي لخمسةٍ وعشرين عامًا حتى أخذه مرض الربيع العظيم.

وذكّر دانك الصبي «على حدّ علم العامة، عاد ايغون تارغيريان إلى قلعة الصيف مجددًا مع أخيه دايرون بعد المسابقة في مروج آشفورد، فوالدك لم يكن يرغب أن يصبح تجولك في الممالك السبع مع فارسٍ متجولٍ معلومًا، ولذلك دعنا لا نسمع المزيد عن حذاءك».
كانت نظرةٌ هي كل ما تلقاه من إجابة. كان لدى ايغ عينان كبيرتان، وبطريقة ما جعلهما رأسه المحلوق أكبر. وفي عُتمة القبو المضاء بالمصابيح كانتا

تبدوان سوداوتين، ولكن في ضوءٍ أفضل، يُمكن رؤية لونهما الحقيقي - أرجوانيٌّ داكنٌ وعميق-.

وفكّر دانك: *عينان ڤاليريتان*. في ويستروس، قليلٌ غيرَ دم التنين لديهم أعينٌ بهذا اللون، أو شعرٌ يلمع كالذهب المصقول وخصلاتٌ من الفضة مجدولةٌ معًا.

عندما كانا يجدفان بالعصي متوجهين إلى الدم الأخضر، صنعن الفتيات اليتيمات لُعبةً بدلك رأس ايغ المحلوق من أجل الحظ، مما جعل وجه الصبيِّ يحمَرُّ أكثر من احمرار رمانة. وقال لاحقًا «الفتيات غبياتٌ جدًّا، والشخص القادم الذي سيلمسني سيسقط في النهر». وكان على دانك أن يقول له «إذًا فأنا من سيلمسك، سأعطيك ضربةً على أذنك ستجعلك تسمع أجراسًا لمدة شهر». ولم يساعد هذا إلا على دفع الصبي للمزيد من الغطرسة، وأصر «أُفضل الأجراس على الفتيات الغبيات». ولكنه لم يرمِ أحدًا في النهر.

خطَا دانك داخل الحوض وأراح نفسه إلى أن غطاه الماء حتى وصل ذقنه. كان الماء لا يزال ساخنًا جدًّا في الأعلى، ولكنه كان أبرَد في القاع. وأطبق على أسنانه ليمنع نفسه من الصراخ، فلو فعل فإن الصبي سيضحك. كان ايغ يُحب أن يكون ماء استحمامه ساخنًا جدًّا.

«هل ترغب بالمزيد من الماء الساخن يا سيدي؟».



«هذا سيكفي». دلك دانك ذراعيه وشاهد التراب يسقط كسُحبٍ طويلة «أحضر لي الصابون. أوه، وفرشاة التنظيف طويلة المقبض أيضًا». جعله التفكير بشعر ايغ يدرك أن شعره كان قذرًا. أخذ نفسًا عميقًا وغطس تحت الماء ليغسله جيدًا. وعندما خرج مجددًا ناثرًا الماء حوله وجدَ ايغ واقفًا بجانب الحوض ومعه الصابون وفرشاة التنظيف طويلة المقبض المصنوعة من شعر الحصان بيديه. ولاحظ دانك بينما كان يأخذ الصابون منه «لديك شعرٌ على وجنتك، شعرتان تحت أذنيك، احرص على أن تحلقهما في المرة القادمة التي تحلق بها شعرك».

بدا الصبي مبتهجًا بهذا الاكتشاف «سأفعل يا سيدي».

وفكّر دانك: *لا شكّ أنه يعتقد أن اللحية تجعل منه رجلًا*. كان دانك قد اعتقد الشيء نفسه عندما وجد بعض الزغب ينمو على شفته العلوية لأول مرة. وفكّر: *حاولت أن أحلقه بخنجري، وكنت على وشك أن أقتلع أنفي*.

وقال لايغ «اذهب ونَل قسطًا من النوم الآن، لن أكون في حاجة إليك حتى الصباح».

تطلب تنظيف التراب والعرق وقتًا طويلًا. بعد ذلك، نحّى الصابون جانبًا ومدّد جسمه بقدر ما يستطيع، وأغلق عينيه. كان الماء قد بَرُد حينها، كان ارتياحًا مرحبًا به بعد حرارة اليوم الضارية. وتنقّع في الماء حتى تجعدت قدماه وأصابعه جميعها، وأصبح الماء رماديًا وباردًا، وحينها فقط خرج على مضض.

على الرغم من أنه أُعطي هو وايغ أسرّة قشٍّ سميكةٍ أسفلًا في السراديب، إلا أنه كان يفضل النوم في الأعلى على السقف. كان الهواء أنعشَ هنالك، وفي بعض الأحيان تهبُّ بعضُ النسمات. ولم يكُن لديه سببٌ يدعو للخوف من المطر، فالمرة القادمة التي ستمطر عليهم ستكون المرة الأولى.
كان ايغ نائمًا في الوقت الذي وصل فيه دانك إلى السقف. استلقى على ظهره ووضع يديه خلف رأسه وأمعن النظر في السماء. كان هنالك نجومٌ في كلّ مكان، آلافٌ وآلافٌ منها. ذكّره ذلك بليلةٍ في مروجِ آشفورد قبل أن تبدأ المسابقة، كان قد رأى نجمًا ساقطًا تلك الليلة. كان من المفترض أن تجلب النجوم الساقطة الحظّ لك، ولذلك أخبر تانسيل بأن ترسمه على تُرسه، ولكن آشفورد كانت أيّ شيءٍ ما عدا محظوظةٍ بالنسبة إليه. وقبل أن تنتهي المسابقة كان على وشك أن يخسر يدًا وقدمًا. وفقد ثلاثة رجالٍ صالحين حياتهم. وفكّر دانك: *لقد نِلتُ مرافقًا على الأقل، كان ايغ معي عندما غادرت آشفورد. كان ذلك الشيء الجيد الوحيد الذي أتى من كلّ ما حدث.*

وأَمِلَ ألا تسقطَ نجومٌ الليلة.

كان هنالك جبالٌ حمراءٌ على بعد مسافة، ورمالٌ بيضاء تحت قدميه. كان دانك يحفر، ويُدخِل مجرفته في الأرض الساخنة والجافة، ويرمي الرمال الناعمة خلف كتفيه. كان يصنع حفرةً. وفكّر دانك: *بل قبرًا، قبرًا للأمل.*
وقف ثلاثة من الفرسان الدورنيين يشاهدون، ويسخرون منه بأصواتٍ خفيضة. وعلى بعد مسافةٍ أبعد، انتظر التجار مع بغالهم وسائقي العربات وزلاجات الرمال. أرادوا بأن يغادروا، ولكنه لم يستطع المغادرة قبل أن

يدفن كستناء. فهو لن يترك صديقه القديم للأفاعي والعقارب وكلاب الرمال.

كان الحصان قد مات في طريق عبورهم الطويل والمُعطِش من ممر الأمير إلى ڤايث، وكان ايغ على ظهره. وفجأة بدَت أرجله الأمامية تنثني تحت ثقل وزنه، وركع ساقطًا في مكانه، وانقلب على جانبه، ومات. واستلقت جثته بجانب الحفرة، وكانت متصلّبة بالفعل، وقريبًا ستبدأ بالتعفن.

كان دانك يبكي بينما كان يحفر، مما سلّى الفرسان الدورنيين، وقال أحدهم «الماءُ ثمينٌ في العراء. من المفترض ألا تُسرفه يا سيدي». وضحك الآخرُ وقال «لماذا تبكي؟ لقد كان مجرّد حصانٍ، وواحدٌ ضعيف ومثير للشفقة».

وفكّر دانك بينما كان يحفر: *كستناء، كان اسمه كستناء، وقد حملني على ظهره لسنين، ولم يرفُس أو يعضّ قط*. بدا الحصان المُسنّ شيئًا بائسًا بجانب الجياد الدورنية الأنيقة التي كان يركبها الدورنيون. برؤوسهم البهيّة ورقابهم الطويلة وأعرافهم المنسدلة. ولكنه كان قد أعطى كل ما كان قادرًا على إعطاءه.

«تبكي على حصانٍ أقعسَ الظهر؟». قالها السير أرلان بصوت الرجل العجوز «لماذا أيها الصبي، فأنت لم تبكِ عليَّ قطُّ، وأنا من وضعك على ظهره». ثم أعطى ضحكةً صغيرة، ليُظهر أنه لم يقصد أيَّ أذًى من التوبيخ «هذا هو دانك الأخرق، بليدٌ كجدار قلعة».

وقال بايلور كاسر الرماح من القبر «إنه لم يذرف دموعًا علي أيضًا، رغم أنني كنت أميره، وأمل ويستروس، لم تُقدّر الآلهة لي أن أموتَ شابًّا».

وقال الأمير ڤالار «والدي كان فقط في التاسعة والثلاثين. كان يملك القدرة بأن يصبح ملكًا عظيمًا، الأعظم منذ ايغون التنين». ونظر إلى دانك بعينين باردتين وزرقاوين «لماذا قد تأخذه الآلهة وتتركك أنت؟». كان لدى الأمير الشاب شعر أبيه البني الفاتح، ولكن سرى فيه خطٌّ من الفضي المذهّب.

أراد دانك أن يصرخ: جميعكم *ميتون، ثلاثتكم ميتون، لمَ لا تتركوني وشأني*؟ مات السير أرلان من نزلة برد، والأمير بايلور من الضربة التي وجهها له أخيه خلال محاكمة دانك بالسبع، وابنه ڤالار خلال مرض الربيع العظيم. وفكّر دانك: *أنا لستُ ملومًا على هذا. لقد كنا في دورن، ولم نكن نعلمُ حتى.*

وأخبره الرجل العجوز «أنتَ مجنون، فنحن لن نحفر حفرةً من أجلك عندما تقتل نفسك بهذه الحماقة. في هذه الرمال العميقة يجب على الرجل أن يحبس ماءه».

وقال الأمير ڤالار «انصرف عنّي يا سير دانكن، انصرف».

كان ايغ يساعده بالحفر. لم يكن لدى الصبي مجرفة، ولم يكن يملك إلا يديه. وتدفق الرمل مجددًا داخل القبر بالسرعة نفسها التي يرمونه فيها. كان الأمر أشبه بمحاولة حَفرِ حُفرة في البحر. وأخبر دانك نفسه على الرغم من أن ظهره وكتفيه آلماه من الجهد: يجب *علي أن أواصل الحفر، يجب علي أن أدفنه عميقًا حيث لا تستطيع كلاب الرمال أن تجده، يجب على أن...*

«...أموت؟». قالها روب الكبير بسيطُ العقل من أسفل القبر، راقدًا هنالك باردًا وساكنًا، وجرحٌ أحمرٌ مثقوبٌ ومفتوحٌ في بطنه، ولم يبدُ كبيرًا جدًّا على الإطلاق.

توقّف دانك وحدّق به «أنتَ لست ميتًا، أنت في الأسفل نائمٌ في القبو». ونظر إلى السير أرلان ليساعده، وتوسّل منه «أخبره يا سيدي، أخبره أن يخرج من القبر».

ولكنه لم يكُن السير أرلان من شجرة البنسات هو من يراقبه على الإطلاق، بل كان السير بينيس من الترس البني، ولم يفعل الفارس البني شيئًا إلا القوقأة، وقال «دانك الأخرق، بَقْرُ البطن ميتة بطيئة، ولكنها مؤكدة. لم أعرف رجلًا قط عاشَ وأحشاءه تتدلى». وبقبقت رغوةٌ حمراء على شفتيه. والتفت وبصق، وتشربت الرمال البيضاء البصقة. كان تريب واقفًا وراءه وسهمٌ في عينه، يبكي دموعًا حمراءً ببطئ. وكان هنالك وات المبلل أيضًا، ورأسه مقطوعٌ إلى النصف تقريبًا، مع ليم العجوز وبايت ذو العين الحمراء

والبقية جميعهم. اعتقد دانك في البداية بأن جميعهم كانوا يمضغون التبغ المر مع بينيس، ولكنه أدرك بأن الدم هو الذي يتقاطر من أفواههم. وفكّر: *موتى، جميعهم موتى*. ونهق الفارس البني «نعم، لذلك من الأفضل أن تنشغل بعملك، فلديك المزيد من القبور لتحفرها أيها الأخرق. ثمانية لهم وواحدٌ لي وواحدٌ للسير عديم الفائدة العجوز، وواحدٌ أخيرٌ لصبيك ذو الرأس الأصلع».

أفلتت المجرفة من يدي دانك، وصاح «ايغ، اركض! يجب علينا أن نركض!». ولكن الرمال كانت تنهار تحت قدميهما، وعندما حاول الصبي بأن يندفع من الحفرة، انهارت جوانبها المتداعية وتحطمت. ورأى دانك الرمال تغطي ايغ، وتدفنه بينما فتح فمه ليصرخ. حاول أن يشقّ طريقه إليه، ولكن الرمال كانت ترتفع حوله، تسحبه أسفلًا إلى القبر، وملأت فمه، وأنفه، وعيناه...



وبحلول وضح النهار، شرع بينيس بتعليم الجنود تكوين جدارٍ من التروس. ووضع ثمانيتهم في صفٍّ كتفًا إلى كتف، وتروسهم متلامسة ورؤوس حرابهم تطُلُّ كأسنانٍ خشبيّةٍ حادةٍ وطويلة. ثم امتطى دانك وايغ أحصنتهما وهاجموهم.

رفض (مايستر) أن يقترب أكثر من عشر يارداتٍ من الحراب وتوقف فجأةً، ولكن (رعد) كان قد دُرّب على هذا. وانطلق الحصان الحربي الكبير مباشرةً إلى الأمام مُزيدًا من سرعته. ركضت الدجاجات أسفل أقدامه ورفرفن بعيدًا مطلقاتٍ صياحًا. ولا بد أن ذعرهن كان معديًا. ومرةً أخرى كان روب الكبير هو أول من يرمي حربته ويهرب، مما ترك فجوةً في منتصف الجدار. وبدلًا

من أن يغلقوا الفجوة انضمّ محاربوا ((ستاندفاست)) الآخرين إلى الهروب. خطى (رعد) على تروسهم الملقاة قبل أن يستطيع دانك أن يشد عنانه. وتكسرت الأغصان المجدولة وتحولت إلى شظايا تحت حدوات حوافره الحديدية، وأطلق السير بينيس قائمة طويلة من اللعنات بينما تفرق الفلاحون والدجاجات في جميع الاتجاهات. كافح ايغ ليكتم ضحكته، ولكنه خسر المعركة في النهاية.

أجبر دانك حصانه (رعد) على التوقف، وحل خوذته وانتزعها «لقد اكتفينا من هذا. إذا فعلوا هذا في المعركة فسيُقتلون جميعًا بسببه». وفكّر دانك: *وأنا وأنت على الأرجح*. كان الصباح حارًّا بالفعل، وشعر باتساخٍ ولزوجة وكأنه لم يستحم بالأمس على الإطلاق. كان رأسه يدق، ولم يستطع أن ينسى الحلم الذي حلمه ليلة البارحة. وحاول أن يخبر نفسه: *لم يحدث الأمر بهذه الطريقة قط، لم تكن هكذا*. مات (كستناء) في طريقهم الطويل والجاف إلى (ڤايث)، كان هذا الجزء صحيحًا. وركب هو وايغ معًا على حصان واحدٍ حتى أعطاهما أخُ ايغ (مايستر)، ولكن المتبقي منه...

وفكر دانك: *لم أبكِ قط، ربما كنت أود أن أفعلها، ولكنني لم أفعلها حقًّا*. أراد أن يدفن الحصان أيضًا، ولكن الدورنيين لم يرغبوا بالانتظار. وقال له أحد الفرسان الدورنيين بينما كان يساعد دانك على تجريد الحصان من السرج واللجام «على كلاب الرمال أن تأكل وتُطعم جراءها، ولحمه سيُطعم الكلاب أو الرمال. وخلال عامٍ ستكون عظامه نظيفة تمامًا، فهذه دورن يا صديقي». متذكرًا، لم يستطع إلا أن يتساءل عمّن سيتغذى على لحم وات ووات ووات، وفكّر: *ربما هنالك أسماكٌ مربعة في أعماق المياه المربعة*.

ركب (رعد) وعاد مجددًا إلى البرج وترجّل «ايغ، ساعد السير بينيس بجمعهم وإعادتهم إلى هنا مجددًا». ووضع خوذته على ايغ وخطَا نحو الأدراج.

قابله السير يوستاس في عتمة غرفته الشمسية «لم يتمّ هذا جيّدًا». وقال دانك «نعم يا سيدي، إنهم لن يُجدوا نفعًا». وفكّر: *السيف المُقسم يدين لسيده بالخدمة والطاعة، ولكنّ هذا جنون*.

«إنها المرة الأولى لهم. كان آبائهم وإخوتهم بمثل سوئهم أو أسوأ عندما بدأوا تدريبهم. دربهم أبنائي قبل أن نذهب لمساعدة الملك لمدة أسبوعين كاملين. لقد جعلوا منهم جنودًا».

وسأل دانك «وعندما جاءت المعركة، كيف أبلَوا حينها يا سيدي؟ كم واحدًا منهم عاد إلى الديار معك؟».

نظر الفارس العجوز إليه طويلًا، وقال أخيرًا «ليم، وبايت، ودايك. كان دايك يبحث عن الطعام لنا، وكان أفضل باحثٍ عن الطعام عرفته قط، ولذلك لم نزحف وبطوننا خاوية. ثلاثةٌ عادوا مجددًا يا سيدي، ثلاثةٌ ومعهم أنا». وارتعش شاربه «قد يأخذ هذا أكثر من أسبوعين».

وقال دانك «يا سيدي، قد تكون المرأة هنا بحلول الغد، مع جميع رجالها. لا بد أن تكون هنالك طريقة أخرى». وفكّر دانك: *إنهم صبية طيبون. ولكنهم سيصبحون صبيةً ميتين قريبًا إذا واجهوا فرسان ((كولدموت))*.

«نعم، طريقة أخرى». ومرّر السير يوستاس أصابعه على ترس الأسد الصغير «ولكنني لن أنال العدالة من اللورد روان، ولا من هذا الملك...». وأمسك بساعد دانك «أذكُر أنه في الأيام الخوالي عندما حكم الملوك الخضر، كان بإمكانك أن تدفع للرجل فدية دمٍ إذا قتلت واحدًا من حيواناته أو فلاحيه».

«فدية دم؟».

كان دانك مرتابًا «لقد قلتَ طريقةً أخرى، ولدي بعض المال الذي ادخرته. يقول بينيس بأنها كانت مجرد دم بسيط على الخد. يمكنني أن أدفع للرجل أيلًا فضيًا، وثلاثة إلى المرأة من أجل الإهانة، يمكنني فعلها وسأفعلها... إذا هدمت السد». وتجهّم الرجل العجوز «ولكن ليست باستطاعتي الذهاب هنالك، ليس في ((كولدموت))». وطارت ذبابةٌ سوداء وسمينة حول رأسه واستقرت على ذراعه «كانت القلعة مِلكَنا فيما مضى، أكنت تعرف هذا يا سير دانكن؟».

«نعم يا سيدي». كان سام منحني الظهر قد أخبره بهذا «مُنذ آلافِ السنين قبل الغزو، كُنا حُماة التخوم الشمالية، وتعهد عشرون من اللوردات الأقل شأنًا لنا بالولاء، ومئة فارسٍ من مُلّاك الأراضي. كان لدينا أربعُ قِلاع حينها، وبُرج مراقبة على التلال للتحذير من قدوم أعدائنا. كانت ((كولدموت)) هي أعظم مقراتنا، بناها اللورد پيروين أوزجري، والذي أطلقوا عليه پيروين الفخور.

بعد معركة حقل النار انتقلت (هايغاردن) من ملوكٍ إلى وكلاء، وتضاءلت مكانة آل أوزجري وتناقصت. كان الملك ميغور ابن الملك ايغون هو من أخذ ((كولدموت)) من حوزتنا عندما أعلن اللورد أورمند أوزجري معارضته لإلغاء جماعة السيوف والنجوم، وهو الاسم الذي كان يُطلق على الصعاليك وأبناء المحارب». وأصبح صوته مبحوحًا «هنالك أسدٌ مربّعٌ منحوتٌ على الحجارة فوق بوابات ((كولدموت)). أراني والدي إيّاه في المرة الأولى التي أخذني بها معه لزيارة ماينارد وير العجوز، وأريته أبنائي بالمقابل. آدام... كان آدام قد خدم في ((كولدموت)) كوصيفٍ ومرافق، و... و.. نما إعجابٌ... واضحٌ بينه وبين ابنة اللورد وايمان. ولذلك في أحد فصول الشتاء ارتديت أفخم ملابسي وذهبت للورد وايمان لتقديم عرض زواج. كان رفضه مهذبًا، ولكن بينما كنت أغادر سمعته يضحك مع السير لوكاس إنشفيلد. لم أعُد إلى ((كولدموت)) مجددًا بعد ذلك. ما عدا مرةٍ عندما تجرأت تلك المرأة على أن تأخذ واحدًا من رعاياي، وعندما قالوا لي أن أبحث عن ليم المسكين أسفل الخندق—».

وقال دانك «كان اسمه دايك، بينيس يقول بأن اسمه كان دايك».

كانت الذبابة تتحرك ببطءٍ على كمه، وتوقفت لتفرك أقدامها معًا كما يفعل الذباب. أبعدها السير يوستاس وحكّ شفته التي كانت تحت شاربه «دايك؟ نعم دايك. كان هذا ما قُلته، كان رجلًا مخلصًا، أذكره جيّدًا. كان يجمع لنا الطعام خلال الحرب، ولم نكُن نسير وبطوننا خاوية. عندما أبلغني السير لوكاس بما حدث لدايك المسكين أقسمتُ يمينًا مقدسةً على أنني لن أضع قدمًا داخل تلك القلعة، إلا إذا استوليتُ عليها. ولذا ها أنت

ترا، لا يمكنني الذهاب هنالك يا سير دانكن، لا من أجل دفع فدية الدم ولا من أجل أي سببٍ آخر، لا أستطيع».

تفهّم دانك الأمر «يمكنني الذهاب يا سيدي، فأنا لم أُقسم بأي يمين».

«أنت رجلٌ طيبٌ يا سير دانكن. وفارسٌ شجاعٌ وصادق». واعتصر السير يوستاس ذراع دانك «لو أن الآلهة تركت لي ابنتي أليسان، لكنتَ أنت نوع الرجل الذي لطالما أمِلتُ أنها قد تتزوجه. أنت فارسٌ حقيقي يا سير دانكن، فارسٌ حقيقي».

كان وجه دانك يتورّد «سوف أُخبر الليدي ويبر عما قلته عن فدية الدم، ولكن...».

«ولكنك ستُعفي السير بينيس من مصير دايك. أعلم أنني لستُ حكمًا على الرجال، ولكنك من المعدن الأصِيلُ منهم. منظرك لوحده سيجعلهم يُعيدون النظر في موقفهم يا سيدي. وعندما ترى تلك المرأة أن ((ستاندفاست)) لديها نصيرٌ كهذا، فقد تهدم السد من تلقاء نفسها».

لم يعلم دانك ما يقول ردًّا على هذا، وركع «سوف أغادر في الغد يا سيدي، وسأفعل كل ما بوسعي».

جاءت الذبابة ودارت حوله مجددًا واستقرت على يد السير يوستاس اليسرى، ورفع يده اليمنى وسحقها تمامًا «في الغد. نعم، في الغد».

قال ايغ مدهوشًا «حمامٌ آخر؟ لقد استحممت بالأمس».

«ثم قضيتُ يومًا كاملًا مرتديًا الدرع وأسبح بعرقي. أغلق شفتيك واملأ المغلاة».

ووضح ايغ «لقد استحممت في الليلة التي قبلها بنا السير يوستاس بخدمته، ويوم الأمس، والآن، ثلاثُ مرات يا سيدي».

«يجبُ عليّ أن أتعامل مع سيدة نبيلة المولِد. هل تريدني أن أحضر أمام مقعدها العالي ورائحتي كرائحة السير بينيس؟».

«سيكون عليك أن تتدحرج داخل حوضٍ من روث (مايستر) لتصبح رائحتك بهذا السوء يا سيدي». وملأ ايغ المغلاة «يقول سام منحني الظهر أن حامي قلعة ((كولدموت)) كبير الحجم كحجمك أنت. اسمه السير لوكاس إنشفيلد، ويلقبونه بالإنش الطويل بسبب حجمه. هل تعتقد أنه بضخامتك يا سيدي؟».

«لا». لقد مضت سنواتٌ منذ أن قابل أحدًا يساويه بالطول. أخذ المغلاة وعلّقها فوق النار.

«هل ستقاتله؟».

«لا». كاد دانك أن يتمنى لو كان الأمر عكس ذلك، قد لا يكون أعظم مقاتلٍ في البلاد، ولكن الحجم والقوة يستطيعان تعويض نواقصَ عديدة. وفكّر دانك: *ولكن ليس نقص العقل*. إنه لم يكُن جيدًا باستخدام الكلمات، وكان أسوأ مع النساء. لم يكن العملاق لوكاس إنشفيلد يخيفه نصف ما تخيفه احتمالية مواجهة الأرملة الحمراء «أنا ذاهبٌ للحديث مع الأرملة الحمراء، وهذا كلُّ ما في الأمر».

«وماذا ستقول لها يا سيدي؟». «بأنّ عليها أن تهدم السد». وفكّر دانك: *يجبُ عليكِ أن تهدمي السد يا سيدتي، وإلّا*... «أعني أن أطلب منها أن تهدم السد». وفكّر: *أرجوكِ، أعيدي لنا مياهنا المربعة* «إذا كان هذا يرضيها». وفكّر: *ماءٌ قليلٌ يا سيدتي، إذا كان هذا يرضيك*. لن يريد السير يوستاس منه أن يتوسل، وقال لنفسه: *كيف أقولها إذًا؟*

بعد فترة وجيزة بدأ الماء بالغليان والبقبقة، وقال دانك للصبي «ساعدني بسحب المغلاة إلى الحوض». ومعًا حملا المغلاة من الموقد وقطعا القبو حتى وصلا إلى الحوض الخشبي الكبير، واعترف بينما كانا يسكبان الماء «إنني لا أعرف كيف أتحدث إلى السيدات النبيلات. كان من المُمكن أن نُقتل كلينا في دورن بسبب ما قلته لليدي ڤايث».

وذكّره ايغ «كانت الليدي ڤايث مجنونة، ولكن كان يمكنك أن تكون أكثر نبالة، فالسيدات يحببن أن تكون نبيلًا. ولو أنقذت الأرملة الحمراء كما أنقذت فتاة الدمى من ايريون...».

«ايريون في ليس. والأرملة ليست في حاجة لأن ينقذها أحد». لم يكُن يرغب بالحديث عن تانسيل، وفكّر دانك: *كان اسمها تانسيل الطويلة جدًّا، ولكنها لم تكُن طويلة بالنسبة إلي.*

«حسنًا، بعض الفرسان يغنُّون أغانٍ نبيلة لسيداتهم، أو يعزفون لهنّ على عود».

«ليس لديّ عود. ثم إنك قلت لي تلك الليلة التي شربت فيها كثيرًا ببلدة الأخشاب أنّني غنيت كثورٍ غارقٍ بالطين».

«لقد نسيتُ هذا يا سيدي».

«كيف أمكنك أن تنسى؟».

وقال ايغ بكل براءة «لقد قلت لي أن أنسى يا سيدي، وأخبرتني أنني سأنال ضربة على الأذن في المرة القادمة التي أذكرها». «إذًا لن يكون هنالك غناء». حتى إذا كان لديه صوتٌ يؤهله للغناء، فإن الأغنية الوحيدة التي كان يعرفها دانك طوال حياته كانت "الدب، الدب، الجميلة والدب" ولم يكن يعتقد أن ذلك سيفعل الكثير ليقنع الليدي وير. كانت المغلاة تغلي مجددًا، وكافحا لحملها إلى الحوض وقلبا المغلاة.

سحب ايغ الماء ليملأ المغلاة للمرة الثالثة، ثم صعد بجهدٍ مجددًا فوق البئر «من الأفضل ألا تقبل أيّ طعامٍ وشرابٍ في ((كولدموت)) يا سيدي، فالأرملة الحمراء سممت جميع أزواجها».

وتجهّم دانك «أنا لستُ ذاهبًا لأتزوجها. إنها سيدة نبيلة المولد، وأنا دانك من جحر البراغيث، أتذكر؟ ولكن فقط أخبرني، هل تعرف كم زوجًا اتخذته؟».

وقال ايغ «أربعة. ولكن بلا أطفال. كلما أنجبت يأتي شيطانٌ بالليل ليحمل الرضيع. تقول زوجة سام منحني الظهر أنها تبيع أطفالها وهم لم يولدوا بعد إلى سيد الجحائم السبع لكي يعلمها فنونه السوداء».

«النساء النبيلات لا يتدخلن في الفنون السوداء. إنهم يرقصن ويغنّين ويعملن بالحياكة».

وقال ايغ باستمتاع «ربَّما ترقُص مع الشياطين وتحيكُ التعاويذ الشريرة. وكيف يمكنك أن تعرف ما يفعلنه السيدات النبيلات يا سيدي؟ كانت الليدي ڤايث هي السيدة النبيلة الوحيدة التي عرفتها».

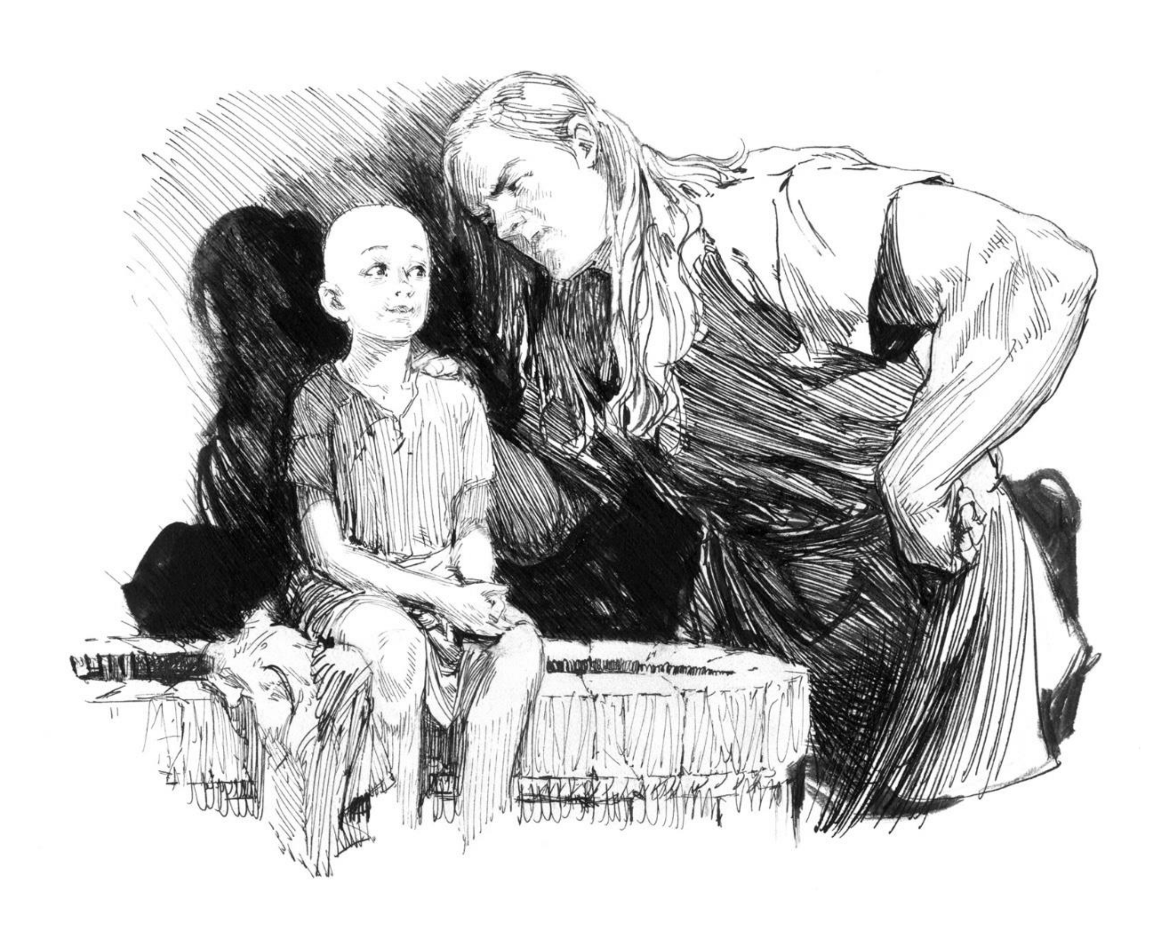
كانت هذه وقاحةً، ولكنها حقيقة «قد لا أعرفُ أي سيدة نبيلة المولد، ولكنني أعرفُ صبيًّا يطلبُ ضربة جيدة على الأذن». وحكّ دانك مؤخرة عنقه، فدائمًا ما تكون صلبةً كالخشب عندما يقضي يومًا مرتديًا الصفائح المعدنية «لقد عرفتَ ملكاتٍ وأميرات، هل كانن يرقصن مع الشياطين ويمارسن الفنون السوداء؟».

«الليدي شييرا تفعل هذا، عشيقة اللورد الغراب الدامي، إنها تتحمم بالدماء لتُبقي على جمالها. وفي إحدى المرات وضعت أختي راي مسحوق حب في شرابي، لكي أتزوجها بدلًا من أختي دايلا».
تحدّث ايغ وكأن سفاح القربى كان أكثر شيءٍ طبيعي في هذا العالم، وفكّر دانك: *بالنسبة إليه، فهو كذلك*. كانوا آل تارغيريان يزوجون الأخ للأخت منذ مئات السنين، ليحافظوا على دم التنين نقيًا. وعلى الرغم أن آخر تنينٍ حقيقي مات قبل أن يولد دانك، إلا أن ملوك التنانين استمروا، وفكّر: *ربما لا تمانع الآلهة إذا ما تزوجوا أخواتهم أم لا*. وسأل دانك «وهل نجح مفعول المسحوق؟».

وقال ايغ «كان لينجح لولا أنني بصقته. أنا لا أرغب بزوجة، أرغب بأن أكون فارسًا في الحرس الملكي، وأعيش فقط لأخدم وأحمي الملك. الحرس الملكي مقسمون على عدم الزواج».

«هذا هدفٌ نبيل، ولكن عندما تكبر، قد تجد أنك تفضل فتاةً على معطف أبيض». كان دانك يفكر بتانسيل الطويلة جدًا، والطريقة التي ابتسمت بها بوجهه في آشفورد «قال السير يوستاس بأنني نوع الرجل الذي كان يأمل أن يزوّجه لابنته. كان اسمها أليسان».

«إنها ميتة يا سيدي». وقال دانك منزعجًا «أعلمُ بأنها ميتة. لقد قال لو كانت على قيد الحياة، ولو كانت على قيد الحياة كان ليرغب بأن يزوجها إلي، أو واحدٌ مثلي. لم يعرض علي لورد ابنته من قبل قط».



«ابنته الميتة. ولربما كانوا آل أوزجري لورداتٍ فيما مضى، ولكن السير يوستاس مجرد فارسٍ من ملاك الأراضي».

«إنني أعلم ماهو. هل ترغب بضربة على أذنك؟».

وقال ايغ «حسنًا، أُفضِّلُ ضربة على الأذن على أن أحظى بزوجة. خاصة إذا كانت زوجة ميتة يا سيدي. المغلاة تفور».

حملا الماء إلى الحوض، ونزع دانك سترته «سوف أرتدي سترتي الدورنية عندما أذهب إلى ((كولدموت))». كانت مصنوعة من الحرير الرملي، وهي أفضل لباس يمتكله، مرسومٌ عليها شعاره ذو شجرة الدردار والنجم الساقط.

وقال ايغ «إذا ارتديتها خلال الركوب فسوف تبتلّ بالعرق يا سيدي. ارتدِ الواحدة التي ارتديتها اليوم، ويمكنك أن تبدل ملابسك عندما نصل إلى القلعة».

«تعني قبل أن نصل إلى القلعة. فسأبدو أحمقًا وأنا أبدل ملابسي على الجسر المتحرك. ثم من قال أنك ذاهبٌ معي؟».

«يكون الفارس أكثر إثارة للإعجاب إذا حضر معه مرافق». كان هذا صحيحًا، كان لدي الصبي تقديرٌ جيد لهذه الأشياء، وفكّر دانك: *كما يجب عليه، لقد خدم كوصيفٍ لمدة عامين في (كينجزلانديج)*. ومع ذلك، كان دانك مترددًا أن يأخذه إلى الخطر، ولم يكن لديه أي فكرة عن نوع الترحيب الذي ينتظره في ((كولدموت)). وإذا كانت هذه الأرملة الحمراء بالخطورة التي يصفونها بها فقد ينتهي به المطاف في قفص غربان كالرجلين الذين رأَيهما على الطريق. وقال لايغ «سوف تبقى وتساعد بينيس مع العامة. ولا تعطني هذه النظرة المتجهمة». ونزع سراويله وصعد داخل حوض الماء المغلي «اذهب ونَمِ الآن، ودعني أستمتع بحمامي. إنك لن تذهب ولا تجادلني بخصوص هذا الأمر مجددًا».

كان ايغ مستيقظًا وناهضًا من فراشه عندما استيقظ دانك ونور الصباح على وجهه. وفكّر: *لترحمنا الآلهة، كيف يمكن أن يكون الجو حارًّا بهذه السرعة؟* وجلس ومدد جسمه متثائبًا، ثم نهض على قدميه وتعثر ناعسًا

وهو متوجهٌ إلى البئر، حيث أشعل شمعة دهنية ورشّ بعضًا من الماء البارد على وجهه وارتدى ملابسه.

وعندما خرج تحت ضوء الشمس كان (رعد) ينتظر بجانب الإسطبل. كان ايغ ينتظر أيضًا مع بغله (مايستر).

كان الصبي قد ارتدى حذاءيه. ولمرة على الأقل بدا كمرافقٍ لائق. كان مرتديًا سترةً ضيقة أنيقة من المربعات الخضراء والذهبية، وكان يرتدي سراويلًا ضيقة وبيضاء من الصوف، وقال «كانت السراويل مثقوبة من المؤخرة، ولكن خيطتها زوجة سام منحني الظهر من أجلي».
وقال السير يوستاس بينما قاد حصانه الرمادي والمخصي من مربطه «كانت هذه ملابسُ آدام». وزيّن أسدٌ مربعٌ المعطف الحريري المهترئ الذي انسدل من على كتفي الرجل العجوز «السترة الضيقة باليةٌ قليلًا بسبب نبذها في الصندوق، ولكنها ستؤدي الغرض. يكون الفارس أكثر إثارة للإعجاب إذا حضر معه مرافق، لذلك قررت بأن ايغ يجب أن يرافقك إلى ((كولدموت))».

وفكّر دانك: *لقد خُدعت من صبي في العاشرة*. نظر دانك إلى ايغ وتفوّه بصمتٍ بالكلمات: *ضربة على الأذن*. وابتسم الصبي ابتسامة عريضة «لدي شيءٌ من أجلك أيضًا يا سير دانكن، تعال». وقدم السير يوستاس عباءةً ونفضها بحركةٍ مسرحية.

كانت مصنوعة من الصوف الأبيض، وعلى أطرافها مربعات من الحرير الأخضر وقماشٍ من الذهب. كانت عباءةٌ من الصوف هي آخر شيء يرغب فيه دانك في حرارة كهذه، ولكن عندما لفها السير يوستاس حول كتفيه، رأى دانك الفخر على وجهه، ولم يكن قادرًا على الرفض «أشكرك يا سيدي».

ارتعش شارب الرجل العجوز «إنه يناسبك جيدًا. كنت أتمنى لو كان بوسعي إعطاؤك المزيد. لقد أرسلت سام منحني الظهر إلى القبو ليبحث بأشياء أبنائي، ولكن إدوين وهارولد كانا رجلان أصغر منك. كانا أنحف بمنطقة

الصدر، وكانت أرجلهما أقصر بكثير. ومن المؤسف أن أقول أنهما لم يتركا شيئًا يناسبك».

«العباءة ستكفي يا سيدي، ولن أكللها بالعار».

«لا أشك في هذا». وربّت على حصانه «فكّرت بأن أركب معكما جزءًا من الطريق إذا لم يكن لديكما مانع».

«لا مانع على الإطلاق يا سيدي».
قادهما ايغ إلى أسفل التل جالسًا على ظهر (مايستر)، وسأل السير يوستاس دانك «هل يجب عليه أن يرتدي قبعة القش المرنة تلك؟ إنه يبدوا سخيفًا نوعًا ما، ألا تعتقد ذلك؟».

«ليس أكثر سخفًا عندما يتقشر رأسه يا سيدي». حتى في هذه الساعة عندما تكون الشمس بالكاد فوق الأفق، كان الجو حارًّا. وفكّر دانك: بحلول الظهر، ستكون السروج حارة بما فيه الكفاية لتسبب قروحًا. قد يبدو ايغ أنيقًا مرتديًا ملابس الصبي الميت المزركشة، ولكنه سيكون بيضةً مسلوقةً بحلول الليل. يستطيع دانك على الأقل أن يغير ملابسه؛ فقد كان يملك سترته الجيدة في حقيبة سرجه، وسترته الخضراء القديمة على ظهره.



وأعلن السير يوستاس «سوف نأخذ الطريق الغربي. إنه قليل الاستخدام في السنوات الماضية، ولكنه لا يزال أقصر طريق من ((ستاندفاست)) إلى قلعة ((كولدموت))». أخذهم الطريق وراء التل بعد القبور حيث وضع الفارس العجوز زوجته وأبنائه ليرتاحوا بين دغلٍ من أشجار التوت الأسود «لقد أحبّ صبيتي قطف التوت الأسود هنا. عندما كانوا صغارًا كانوا يأتون إليّ بأوجهٍ لزجة وخدوشٍ على أذرعهم، وكنت أعرف في الحال أين كانوا».
وابتسم بعطف «مرافقك ايغ يذكرني بابني آدام. صبيٌّ شجاع بالنسبة إلى عمره الصغير. كان آدام يحاول أن يحمي أخاه المصاب هارولد عندما احتدم القتال عليهما. واقتلع رجلٌ نهري يضع ستّ بلوطاتٍ على ترسه يده بفأسه». ووجدت عيناه الحزينتان دانك «سيدك القديم هذا، فارس شجرة البنسات... هل قاتل في تمرد آل بلاكفاير؟».

«لقد فعل يا سيدي، قبل أن يأخذني لخدمته». لم يكن دانك قد تجاوز الثالثة أو الرابعة في ذلك الوقت، كان يركض نصف عارٍ خلال أزقة جحر البراغيث، حيوانًا أكثر من كونه صبيًا.

«هل كان مع التنين الأحمر أم الأسود؟».

وفكّر دانك: *أحمرَ أم أسود*؟ كان لا يزال سؤالًا خطيرًا، حتى الآن. كان شعار عائلة آل تارغيريان يحمل تنينًا أحمرًا ثلاثي الرؤوس على خلفية سوداء منذ أيام ايغون الفاتح. ولكن ديمون المدعي عكس هذه الألوان على راياته الخاصة، كما يفعل معظم النغول. وذكر دانك نفسه: *السير يوستاس هو سيدي الحامي، ولديه الحق أن يسأل* «لقد قاتل تحت راية اللورد هايفورد يا سيدي».



«شبكة خضراء على خلفية ذهبية، وخطوطٌ مموجة من الأخضر الباهت؟».

«قد يكون يا سيدي. كان ايغ ليعرف». يستطيع الصبي أن يسرد شعارات نصف الفرسان في ويستروس.

«كان اللورد هايفورد مواليًا ملحوظًا، جعله الملك دايرون يده قبل المعركة. كان اللورد بترويل قد أنجز عملًا مخيبًا حتى أن الكثير شككوا بولاءه، ولكن اللورد هايفورد كان مناصرًا منذ البداية».

«كان السير آرلان بجانبه عندما مات. قتله لوردٌ يضع ثلاث قلاع على ترسه».

«مات العديد من الرجال الصالحين ذلك اليوم، من كلا الطرفين. لم يكن العشب أحمرًا قبل المعركة. هل أخبرك سيدك السير آرلان بهذا؟».

«لم يكن السير آرلان يحب الحديث عن المعركة. مات مرافقه هنالك أيضًا، كان اسمه روجر من شجرة البنسات، ابن أخت السير آرلان». مجرد ذكر اسمه جعل دانك يشعر بالذنب نوعًا ما، وفكّر: *لقد سرقت مكانه*. فقط الأمراء واللوردات الكبار كان لديهم حق إبقاء مرافقين. لو أن ايغون الغير جدير أعطى سيفه لوريثه دايرون بدلًا من نغله ديمون، فلربما لن يكون هنالك تمرد آل بلاكفاير، ولربما كان روجر من شجرة البنسات حيًّا حتى هذا اليوم، وفكّر دانك: *كان ليكون فارسًا في مكان آخر، فارسًا حقيقيًا أكثر مني. وكان لينتهي بي الأمر في المشانق، أو أكون قد أُرسلت إلى حرس الليل لأمشي على الجدار حتى أموت*.

وقال الفارس العجوز «المعركة الرهيبة شيءٌ فظيع. ولكن بين الدم والمجازر، يوجد بعض الجمال أحيانًا، جمالٌ يستطيع كسر قلبك. من المستحيل أن أنسى منظر الشمس عندما غربت فوق ساحة العشب الأحمر... عشرة آلاف رجل ماتوا ذلك اليوم، وكان الهواء معبّقًا برائحة الأسى والحزن، ولكن السماء فوقنا تقلّبت إلى لونٍ ذهبي وأحمر وبرتقالي، جميلة لدرجة أنها جعلتني أبكي لأن أدرك أن أبنائي لن يستطيعوا رؤية هذا المشهد» وتنهّد «لقد كان شيئًا قريبًا مما يريدونك أن تصدقه تلك الأيام، لولا الغراب الدامي...».

وقال دانك «لطالما سمعت أنه كان بايلور كاسر الرمح هو من جلب النصر في المعركة. هو والأمير مايكار».

«المطرقة والسندان؟» ارتعش شارب الرجل العجوز «المغنّون يتركون العديد من الأشياء. ديمون كان كالمحارب بنفسه ذلك اليوم، لا أحد يستطيع الصمود أمامه. لقد قطع طليعة جيش اللورد آرن إلى أشلاء، وقتل

فارس التسعة نجوم وويل واينوود الشرس، قبل أن يتواجه مع السير جوين كوربراي فارس الحرس الملكي، ولمدة ساعة رقصا معًا على أحصنتهما، كانا يدوران بأحصنتهما ويتبادلان الضربات ويصدانها بتروسهما، بينما كان الرجال يموتون حولهما، يُقال أنه كلما تصادم بلاكفاير وسيّدة البؤس فإنه يمكنك سماع صوت تصادمهما من على بعد فرسخ حولهما، يقولون بأنه كان نصف صرخة ونصف أغنية، ولكن عندما ضعفت السيدة أخيرًا، شق بلاكفاير خوذة السير جوين، وتركه أعمى وينزف. ترجّل ديمون من حصانه لكي لا يُدهس السير جوين كوربراي، وأمر الناب الأحمر بحمله ونقله إلى المايسترات في مؤخرة الجيش، وكان هذا خطأه المميت، ففي نفس الوقت صعدوا أسنان الغراب قمة التل الباكي، وشاهد الغراب الدامي راية أخيه نصف الشقيق الملكية من على بعد ثلاثمئة ياردة، وديمون وأبناءه تحتها، وقتل ايغون أولًا، أكبر التوأمين، فقد كان يعلم أن ديمون لن يترك الصبي بينما كانت الحياة تسري فيه، وعلى الرغم أن الأسهم البيضاء انهمرت كالمطر، إلا أنه لم يتركه بالفعل. اخترقته سبعة أسهم، مسيّرة بالشعوذة مثلما سُيّرت بقوس الغراب الدامي. التقط ايمون الصغير سيف بلاكفاير عندما انزلق من أصابع أبيه الميت، لذا فقد قتله الغراب الدامي أيضًا، أصغر التوأمين، وهلك التنين الأسود مع ابنيه. كان هنالك المزيد والمزيد بعدها، أعلم هذا. رأيت بعضًا منه بنفسي... هروب المتمردين وتحويل الفولاذ الأليم الهزيمة المنكرة إلى هجمة مجنونة قادها بنفسه... ومعركته مع الغراب الدامي، تلي الواحدة التي خاضها ديمون مع جوين كوربراي... ضربة المطرقة من الأمير بايلور على مؤخرة جيش المتمردين، والدورنيون جميعهم يصرخون بينما ملئوا الهواء بحرابهم... ولكن فيه نهاية اليوم، لم يشكل هذا أي فرق. فالحرب انتهت عندما مات ديمون. أو شيئًا قريبًا من هذا... لو أن ديمون ركب متجاوزًا جوين كوربراي وتركه إلى مصيره، لربما كان باستطاعته كسر ميسرة مايكار قبل أن يصعد الغراب الدامي التل، وكان اليوم لينتمي للتنانين السوداء، واليد ميتٌ والطريق إلى كينجزلاندينج مفتوحٌ أمامهم. وربما لكان ديمون جالسًا على العرش الحديدي في الوقت الذي يأتي به الأمير بايلور مع لوردات العواصف والدورنيين. يمكن للمغنين أن يستمروا بالغناء عن مطرقتهم وسندانهم، ولكنه كان قاتل الأقربين هو من عكس مجريات الأمور بسهمٍ أبيض وتعويذة سوداء. تأكد بأنه يحكمنا الآن. الملك ايريس مخلوقه. لن يفاجئني أن أعلم أن الغراب الدامي سَحَر جلالته

ليخضعه إلى إرادته. ولا عجب أننا ملعونون». وهز السير يوستاس رأسه ودخل في حالة صمتٍ ممعنًا التفكير. تسائل دانك عن قدر ما سمعه ايغ، ولكن لم يكن هنالك أي طريقة ليسأله. وفكّر: *كم عينًا يمتلك اللورد الغراب الدامي؟*

كان اليوم يزداد حرارة بالفعل، ولاحظ دانك: *حتى الذباب قد فرَّ. لدى الذباب عقولٌ أفضل من الفرسان، فهم يبقون بعيدًا عن الشمس*. تسائل إذا ما كان سيُعرض عليه هو وايغ الضيافة في ((كولدموت)). كان إبريقٌ من المزر البني البارد لينال استحسانه. كان دانك يفكر بهذه الاحتمالية بسرورٍ عندما تذكر ما قاله ايغ عن تسميم الأرملة الحمراء لأزواجها. وتركه عطشه على الفور، فقد كان هنالك ماهو أسوأ من الحلوق الجافة.

وقال السير يوستاس «في وقتٍ ما سيطر آل أوزجري على جميع الأراضي على مدى فراسخ عديدة حولنا، من (نَنِي) في الشرق إلى (كهف الحصى). كانت ((كولدموت)) ملكنا، و(تلال حدوة الحصان) والكهوف في (ديرنج داونز)، وقرى (دوسك) و(دوسك الصغيرة) و(براندي بوتوم)، وكلا جانبي (البحيرة المورِقة)... تزوجن عذراوات أوزجري من آل فلورنت، وآل سوان، وآل تاربيك، وحتى آل هايتاور وآل بلاكوود».

ظهرت حدود (غابة وات) أمامهم. غطّى دانك عينيه بيد واحدة وضيق عينيه ليرى الخضرة. ولأول مرة حسد ايغ على قبعته المرنة، وفكّر: *على الأقل سنحظى ببعض الظل*.

وقال السير يوستاس «كانت (غابة وات) تمتد إلى ((كولدموت)) فيما مضى. أنا لا أذكر من كان وات، ولكن في أيام ما قبل الغزو كان يمكنك إيجاد ثيرانٍ في غابته، والِكات ضخمة يصل طولها إلى عشرين شبرًا أو أكثر، وكان هنالك غزلان حمراء أكثر مما يمكن أن يصطاده الرجل في فترة حياته، فلم يكن الصيد مسموحًا هنا إلا للملك والأسد المربع. حتى في أيام والدي كان هنالك أشجارٌ على كلا ضفتي المجرى، ولكن العناكب أزالوا الأشجار من أجل رعي أبقارهم وأغنامهم وأحصنتهم».

انسلّ خطٌّ رفيع من العرق على صدر دانك، وجد دانك نفسه يأمل بقنوتٍ أن يبقى سيده الحامي صامتًا، وفكّر: *الجو حارٌّ جدًا على الكلام، وحارٌّ جدًا على الركوب، إنه فقط حارٌّ إلى حدٍّ فضيع.*

في الغابة، صادفوا جثة قطّ أشجار بني كبير، عجٌّ بالديدان، وقال ايغ بينما دار حولها بعيدًا «يا للقرف. إنّ رائحته أنتن من السير بينيس». وشد السير يوستاس عنان حصانه «قطُّ أشجار. لم أكُن أعلم أنه قد تبقى أيٌّ منه في هذه الغابة. أتسائل ما الذي قتله». وعندما لم يُجبه أحدٌ قال «سوف أعود من هنا. فقط أكملا على الطريق الغربي وسيقودكما مباشرةً إلى ((كولدموت)). هل تملك النقود؟». أومأ دانك برأسه إيجابًا «جيّد. عُد إلى الديار مع مياهي يا سيدي». ومضى الفارس العجوز مسرعًا من الطريق الذي جاء منه.

وعندما اختفى قال ايغ «لقد فكرت بالطريقة التي يجب أن تتحدث بها إلى الليدي ويبر أيها يا سيدي. يمكنك أن تكسبها إلى صفك بالمجاملات النبيلة». بدا الصبي باردًا ومنتعشًا في سترته المربعة كما كان السير يوستاس بعباءته.

وفكّر دانك: *هل أنا الوحيد الذي يتعرق*؟ وردد دانك «مجاملاتٌ نبيلة؟ أيُّ نوعٍ من المجاملات النبيلة؟».
«كما تعلم يا سيدي. أخبرها كم هي جميلةٌ وحسناء».

كان لدى دانك شكوك «لقد عمّرت أكثر من أزواجها الأربعة. لا بُدّ أنها مسنّة كالليدي ڤايث. وإذا قلت بأنها جميلةٌ وحسناء وهي مسنّة ومليئة بالثآليل فستعتبرني كاذبًا».

«يجب عليك فقط أن تجد شيئًا حقيقيًا لتقوله عنها. هذا ما يفعله أخي دايرون، فحتى العاهرات المسنات القبيحات يمكن أن يمتلكن شعرًا ناعمًا أو آذانٍ جيدة الشكل كما يقول».

كانت شكوك دانك تزداد الآن «آذانٍ جيدة الشكل؟».

«أو عينان جميلتان. أخبرها أن فستانها يبرز لون عينيها». وفكّر الصبي لوهلة «إلا إذا كان لديها عينٌ واحدةٌ فقط مثل اللورد الغراب الدامي».

وفكر دانك: *سيدتي، هذا الفستان يُبرز لون عينك*. كان دانك قد سمع فارسانًا ولورداتٍ يتفوهون بهذه المجاملات لسيداتهم، ولكنهم لم يكونوا يقولونها بشكلٍ واهٍ هكذا. وفكّر: *أيتها السيدة الطيبة، فستانك هذا جميل. إنه يُبرز لون كلا عينيك الجميلتين*. بعض السيدات كانن مسنات وهزيلات، أو سميناتٍ ومتوردات، أو مرقعات بالجدري وقبيحات. ولكن جميعهن يرتدين فساتين ولديهن عينان، وكما يذكر دانك، فقد ابتهجن كثيرًا بالكلمات المنمقة. وفكّر دانك: *يا له من فستان جميلٍ يا سيدتي، إنه يبرز الجمال الخلاب لعينيك جميلتي اللون*. وقال دانك بتجهم «حياة الفارس المتجول أبسط من هذا. إذا قلت شيئًا خاطئًا فقد تخيطني داخل كيسٍ مليء بالحجارة وترميني في خندقها».

وقال ايغ «أشكُّ بأن لديها كيسًا بهذا الحجم يا سيدي. يمكننا استخدام حذائي بدلًا من هذا».

ودمدم دانك «كلا. لا نستطيع».

وعندما خرجا من غابة وات، وجدا نفسيهما عكس تيار السد، كان الماء قد ارتفع عاليًا بشكلٍ كافٍ لدانك من أجل أن يحمم نفسه كما كان يحلم سابقًا. وفكّر: عميقٌ بما فيه الكفاية لإغراق رجل. وعلى الجانب الآخر، كانت الضفة قد اختُرقت، وحُفر خلاله أخدود ليوزع بعضًا من التيار غربًا. كان الأخدود محاذيًا للطريق، يغذي عددًا كبيرًا من القنوات الصغيرة التي تلوّت خلال الحقول، وفكّر دانك: بمجرّد أن نعبر المجرى، فنحن في سلطة الأرملة. تسائل دانك عن ماهية ما يركب إليه. كان مجرد رجل واحد، مع صبي في العاشرة ليحمي ظهره.

كان ايغ يهوّي وجهه «سيدي؟ لماذا توقفنا؟». «لم نتوقف». وكز دانك مطيته بكعبيه وخاض خلال المجرى، وتبعه ايغ على بغله. ارتفعت المياه حتى وصلت إلى بطن (رعد) قبل أن تبدأ بالانخفاض مجددًا. وخرجا والماء

يتقاطر منهما على جانب الأرملة. وأمامهما، سرى الأخدود مستقيمًا كالحربة، يلمع بالأخضر والذهبي تحت ضوء الشمس.

عندما لمحا أبراج ((كولدموت)) بعد بضعة ساعات، توقف دانك ليرتدي سترته الدورنية الجيدة وأرخى سيفه الطويل في غمده. لم يكن يرغب أن يكون السيف عالقًا إذا ما احتاج أن يستله. وعدّل ايغ مقبض خنجره أيضًا. وكان وجهه وقورًا تحت قبعته المرنة. ركبا جنبًا إلى جنب، دانك على فحله الكبير، والصبي فوق بغله وعلم أوزجري يرفرف بتوانٍ من على حامله.



جاءت ((كولدموت)) كخيبة أمل بعد كل ما قاله السير يوستاس عنها. مقارنةً بـ(ستورمزإند) و(هايجاردن) وغيرها من القلاع اللوردية الأخرى التي

رآها دانك، كانت قلعة متواضعة... ولكنها كانت قلعة بالفعل، وليست برج مراقبة محصّن. ناهزت جدران القلعة الخارجية الثلاثين قدمًا في الطول، مع أبراج في كل زاوية، كل برج منها بنصف حجم ((ستاندفاست)). ومن كل قمةٍ وبرج عُلّقت رايات آل ويبر السوداء في كل مكان، وكل واحدٍ منها زُيّن بعنكبوت مرقّط على شبكة فضية.

وقال ايغ «سيدي؟ انظر إلى أين يذهب الماء».

انتهى الأخدود أسفل جدران ((كولدموت)) الغربية، ويصبُّ داخل الخندق الذي اكتسبت القلعة اسمها منه، وجعل خرير الماء المنهمر دانك يصرُّ أسنانه، وفكّر: *إنها لن تأخذ مياهي المربعة*. وقال لايغ «تعالَ معي».

وفوق قنطرة البوابة الرئيسة تدلّى صفٌّ من رايات العناكب في الهواء الساكن، فوق الشعار الأكثر قِدمًا والمنحوت عميقًا بالحجارة. قرونٌ من الريح والأجواء السيئة جعلته متآكلًا، ولكن شكله لا يزال جليًّا للعيان: أسدٌ ثائرٌ مصنوعٌ من مربعات مختلفة الألوان. كانت البوابات تحته مفتوحة، وبينما تحركا عبر الجسر المتحرك مصدرين صوت طقطقة، لاحظ دانك كم انخفض الخندق، وقدّر طوله: *ستة أقدام على الأقل*.

اعترض اثنانِ من حاملي الحراب طريقهما عند الشبكات الحديدية، كان أحدهما يملك لحية سوداء وكثيفة، والآخر لم يكن يملك لحية. طالب الملتحي بمعرفة غرضهما هنا، وقال له دانك «أرسلني سيدي أوزجري لأتعامل مع الليدي ويبر، أنا السير دانكن الطويل».

وقال الحارس الغير ملتحٍ «حسنًا، كنت أعلم أنك لست بينيس، وإلا لشممنا رائحته وهو قادمٌ». كان لديه سنٌّ مفقود، وخُيّط شعار عنكبوت مرقط فوق قلبه.

كان الملتحي يضيق عينيه عند نظره إلى دانك بارتيابٍ «لا أحد يرى حضرة الليدي إلا عندما يأذن الإنش الطويل بذلك. أنت ستأتي معي، ويستطيع صبي الأسطبل الذي معك أن يبقى مع الأحصنة».

وأصرّ ايغ «أنا مرافق ولست صبيّ إسطبل، هل أنت أعمى أم غبي فقط؟».

وانفجر الحارس الغير ملتحٍ ضاحكًا، ووضع الملتحي رأس حربته على حلق الصبي «قل هذا مجددًا».

وأعطى دانك ايغ ضربةً على أذنه «كلا. أطبق لسانك واعتنِ بالأحصنة». وترجّل «سوف أرى السير لوكاس الآن».

وخفض الملتحي رمحه «إنه في الساحة الخارجية».

مرّا أسفل الشبكة الحديدية الشائكة وتحت حفرة إعدام قبل أن يخرجا إلى الجناح الخارجي. كانت كلاب الصيد تنبح في أوجرتها. كان دانك يستطيع أن يسمع صوت غناءٍ يأتي من نوافذ السپت الخشبي ذو السبعة جوانب الزجاجية والمغلفة بالرصاص. وأمام مشغل الحدادة، كان هنالك حداد يركب حدوة لحصان حربي بمساعدة صبي قيد التدريب. وبالقرب، كان هنالك مرافقٌ يطلق السهام على أهداف الرماية، بينما نافسته فتاةٌ منمشة ذات ضفيرة طويلة رميةً برمية. كانت الطواويس تدور أيضًا بينما تناوب دستة من الفرسان مرتدين حشية الفراش المبطنة أدوارهم بضربها بشكلٍ متكرر.

وجدا السير لوكاس الإنش الطويل من ضمن المشاهدين عند الطواويس يتحدث مع سپتون مفرط السمنة والذي كان يتعرق بشكل أسوأ من دانك، كان رجلًا مستديرًا وأبيضًا كالعجين، مرتديًا ثيابًا رطبة كما لو أنه ارتداها وهو يستحم. كان إنشفيلد كالحربة بجانبه، كان شديدًا ومستقيم الظهر وطويلًا جدًا... ولكنه لم يكن بطول دانك، وقدّر دانك: ستة أقدام وسبعة إنشات، وكل إنشٍ أكثر كبرياءًا من الذي قبله. على الرغم من أنه ارتدى حريرًا أسودًا وقماشًا من الفضة، إلا أن السير لوكاس بدا باردًا كما لو أنه يمشي على الجدار.

وحيّاه الحارس «سيدي، لقد جاء هذا الشخص من برج الدجاج من أجل مقابلة مع حضرة الليدي».

التفت السپتون أولًا، بصيحة مبتهجة جعلت دانك يتساءل إذا ما كان سكرانًا أم لا «ومن هو هذا؟ فارسٌ متجول؟ لديكم أسجية كبيرة في المرعى». وصنع السپتون إشارة مباركة «عسى المحارب أن يقاتل بصفك إلى الأبد. أنا السپتون سيفتون. اسمٌ تعيس، ولكنه اسمي، ومن أنت؟».

«السير دانكن الطويل».

وقال السپتون للسير لوكاس «ياله من رجل متواضع. لو كنت كبيرًا مثله لأطلقت على نفسي السير سيفتون الهائل، أو السير سيفتون البرج، أو السير سيفتون الذي يملك سحابًا حول أذنيه». كان وجهه المستدير متورّدًا، وكان هنالك بقع من النبيذ على ثيابه.

تفحص السير لوكاس دانك. كان رجلًا كبيرًا بالسن، في الأربعين على الأقل، وقد يكون بالخمسين. كان نحيلًا وليس مفتول العضلات، وذو وجه قبيح. كانت شفتاه سميكتان، وأسنانه صفراء ومتشابكة، وأنفه عريضٌ وسمين، وعيناه جاحظتان، وشعر دانك: وهو غاضب أيضًا. قبل أن يقول الرجل «الفرسان المتجولون متسولون معهم أسلحة في أفضل الأحوال، وخارجون عن القانون في أسوأها. انصرف عنا، فنحن لا نغرب بمن هم على شاكلتك هنا». واحتقن وجه دانك «لقد أرسلني السير يوستاس أوزجري من ((ستاندفاست)) للتعامل مع سيدة القلعة».

وألقى السپتون نظرة على الإنش الطويل «أوزجري؟ أوزجري ذو الأسد المربع؟ كنت أعتقد أن عائلة أوزجري قد انقرضت».

«قريبة جدًا منه حتى أنه لم يعُد يشكل فارقًا. الرجل العجوز هو آخرهم. سمحنا له بأن يحتفظ بمنزل ذا برج متداع على بعد بضع فراسخ غربًا». وتجهم السير لوكاس على دانك «إذا كان السير يوستاس يرغب بالحديث مع حضرة الليدي، فدعه يأتي بنفسه» وضاقت عيناه «أنت كنت الواحد الذي كان مع بينيس عند السد. من المفترض علي أن أشنقك».

«فليحفظنا السبعة». ومسح السپتون العرق من على حاجبه بكمّه «إنه لص، أليس كذلك؟ وواحدٌ كبير أيضًا. يا سيدي، تُب عن سُبُلِك الشريرة،

وستُنعم الأم برحمتها عليك». قُطعت مناشدة السپتون التقية عندما ضرط «أوه، يا إلهي. أعذرني على إطلاق الريح يا سيدي. هذا ما يأتي من أكل الفاصولياء وخبز الشعير».

وقال دانك لاثنينهما بكل الوقار الذي يستطيع جمعه «أنا لست لصًا».

لم يتأثر الإنش الطويل بهذا الإنكار «لا تتجرأ إلى حد لا يستطيع صبري احتماله أيها الفارس... إذا كنت حقًا فارسًا. عُد مجددًا إلى برج دجاجك وأخبر السير يوستاس أن يحضر السير بينيس ذو الرائحة البنية. وإذا وفّر علينا عناء سحبه من ((ستاندفاست)) فقد تميل حضرة الليدي أكثرَ إلى التسامح».

«سوف أتحدث مع حضرة الليدي عن السير بينيس والمشكلة عند السد، وعن سرقة مياهنا أيضًا».

وقال السير لوكاس «سرقة؟ قل هذا لسيدتنا وسوف تسبح في كيسٍ قبل أن تغرب الشمس. هل أنت متأكد من أنك ترغب برؤيتها؟».

الشيء الوحيد الذي كان دانك متأكدًا منه بأنه يرغب بأن ينفذ قبضته خلال أسنان لوكاس إنشفيلد الصفراء والمعوجة «لقد أخبرتك ما أرغب به».

وحثّه السپتون «أوه، دعه يتكلم معها، ما الضرر الذي قد يأتي من ذلك؟ ركب السير دانكن طريقًا طويلًا تحت هذه الشمس المتوحشة، دع الرجل يقول ما يرغب به».

وتفحص السير لوكاس دانك مجددًا «سپتوننا رجلٌ متدين. تعال معي. وكلما كنت موجزًا كان ذلك أفضل». وخطا عبر الساحة، وأُجبر دانك على أن يُسرع الخطى وراءه.

فُتحت أبواب سپت القلعة، وكان العابدون يتدفقون أسفل الأدراج. كان هنالك فرسانٌ ومرافقون، ودستة من الأطفال والعديد من المسنين، وكان

هنالك ثلاث سپتات مرتديات ملابس وأغطية بيضاء... وسيدة سمينة وسقيمة من نسب رفيع، مرتديةً فستانًا من الحرير الأزرق الغامق، مزركشًا بشرائط مايريه، كان طويلًا جدًّا حتى أن أهدابه كانت تُجَرُّ على التراب. قدّر دانك بأنها في الأربعين، وتحت شبكة شعر من النسيج الفضي، كان شعرها الكستنائي مكوّمًا إلى أعلى، ولكنّ كان أكثر شيءٍ إحمرارًا فيها هو وجهها.

وقال السير لوكاس عندما وقفا أمامها وأمام سپتاتها «سيدتي، هذا الفارس المتجول يرغب بإحضار رسالة من السير يوستاس أوزجري، هل ترغبين بسماعها؟».

«إذا كان هذا يرضيك يا سير لوكاس». ونظرت مليًّا إلى دانك وأطالت النظر حتى أنه لم يسع دانك إلا أن يتذكر كلام ايغ عن الشعوذة، وفكّر: *لا أظن بأن هذه تتحمم بالدماء لتبقي على جمالها*. كانت الأرملة بدينة وتقليدية الشكل، وكان رأسها بارزًا بشكل غريب حتى أن شعرها لم يستطع تغطيته بشكل كامل. كان أنفها كبيرًا جدًّا وفمها صغيرٌ جدًّا، ولكن كان لديها عينان، وكان دانك مرتاحًا لرؤية هذا، ولكن كل أفكار المجاملات والكياسة كانت قد تركت دانك حينها «طلب مني السير يوستاس أن أتحدث معك بشأن المشكلة الحديثة عند السد».

وطرفت عيناها «تقول... السد؟».
كان هنالك حشدٌ يجتمع حولهما، ويستطيع دانك أن يشعر بأعينٍ عدائية عليه، وقال «المجرى. المياه المربعة، حضرتك بنيتِ سدًّا عبره...».

وردّت «أوه، أنا متأكدة أنني لم أفعل، عجبًا، لقد كنت أقوم بعباداتي طوال الصباح يا سيدي». سمع دانك السير لوكاس يضحك بخفوتٍ «لم أكن أقصد أن أقول أن حضرتك بنيتي السد بنفسك، ولكن... من دون الماء ستموت جميع محاصيلنا، والعامة لديهم فاصولياء وشعير في الحقول، وبطيخ...».

«حقًا؟ أنا مغرمة جدًا بالبطيخ». وانحنى فمها الصغير بسعادة «أي نوع من البطيخ هي؟».

ألقى دانك نظرة سريعة باضطراب على حلقة الوجوه حوله، وشعر بوجهه يزداد حرارة، وفكّر: *هنالك أمرٌ مريبٌ هنا. الإنش الطويل يظهرني بمظهر الأحمق* «سيدتي، هل يمكننا أن نكمل نقاشنا في مكان... مكان أكثر خصوصية؟».

وسخر أحدهم وقال «يقول المهرج بأن الأحمق الكبير ينوي بأن يضاجعها!». ودوى انفجار من الضحكات حوله. انكمشت السيدة خوفًا نصف مرعوبة، ورفعت كلا يديها لتغطي وجهها. وتحركت إحدى السپتات بسرعة إلى جانبها ووضعت ذراعًا على كتفيها لوقايتها.

«وما كل هذا المرح؟». قطع الصوت الضحك، باردًا وصارمًا «ألن يشارك أحدٌ الدعابة؟ سير فارس، لماذا تزعج أخت زوجي؟».

كانت الفتاة التي شاهدها باكرًا عند أهداف الرماية. كان لديها جعبة أسهم على أحد وركيها، وحملت قوسًا طويلًا كان بنفس طولها هي، والذي لم يكن طويلًا جدًا. لو كان دانك ينقصه إنشٌ على السبعة أقدام، فهي ينقصها إنشٌ على الخمسة أقدام. كان يمكنه أن يغطي خصرها بكفّيه فقط. كان شعرها الأحمر مربوطًا بضفيرة طويلة جدًا كانت تصل إلى فخذيها، وكان لديها ذقنٌ مدمّل، وأنفٌ أفطس، ونمشٌ خفيف على خديها.
«أستميحك عذرًا أيتها الليدي روهان». كان المتحدث لوردًا شابًا ووسيمًا، وطرز قنطور آل كازويل على سترته الضيقة «هذا الأحمق الكبير ظنّك الليدي هيليسنت».

نظر دانك من سيدة إلى أخرى، وسمع نفسه يقول بلا تفكير «أنت هي الأرملة الحمراء؟ ولكنك—».

«شابة؟». وألقت الفتاة قوسها الطويل إلى الصبي النحيل الذي رآها ترمي الأسهم معه «يصادف أنني بالخامسة والعشرين، أو كنت تنوي أن تقول صغيرة؟».

«—بل جميلة. كنت أنوي أن أقول جميلة». لم يكن دانك يعلم من أين جاءته هذه الكلمات، ولكنه كان مسرورًا بأنها جاءت. كان أنفها يعجبه،

وشعرها الذي كان لونه أشقر كالفراولة، ونهديها الصغيرين ولكن مستويي الشكل تحت سترتها الجلدية «كنت أظن أنك ستكونين... أعني... لقد قالوا بأنك ترملت أربع مرات، لذا...».

«مات زوجي الأول عندما كنت في العاشرة. كان هو في الثانية عشر، مرافقًا لوالدي، دُهس بحصان في حقل العشب الأحمر. نادرًا ما يعيش أزواجي طويلًا على ما أخشى. آخرهم مات في الربيع».

كان هذا ما كانوا يقولونه دائمًا لأولئك الذين ماتوا خلال مرض الربيع العظيم قبل عامين، *مات في الربيع*. العديد من عشرات الألوف ماتوا خلال الربيع، من ضمنهم ملكٌ مُسنٌّ وحكيم، وأميرين شابين وواعدين «أنا... أنا متأسفٌ لجميع من فقدتهم يا سيدي». وفكّر دانك: *قل مجاملة أيها الأخرق، اعطها مجاملة* «أود بأن أقول... فستانك...».

«فستاني؟». ونظرت إلى أسفل إلى حذائيها وسراويلها، وسترتها الكتانية الفضفاضة وسترتها الجلدية «أنا لا أرتدي فستانًا».

«كنت أقصد شعرك.... إنه ناعمٌ و...».
«وكيف يمكنك أن تعرف ذلك يا سيدي؟ لو كنت قد لمست شعري فأعتقد أنني كنت لأتذكر هذا».

وقال دانك بشكل ذريع «ليس ناعمًا. كنت أقصد أنه أحمر، أحمرٌ جدًّا».
«تقول أحمرٌ جدًا يا سيدي؟ أوه، ليس أحمرًا كوجهك كما آمل». وضحكت وضحك المشاهدون جميعهم معها.

جميعهم ما عدا السير لوكاس إنشفيلد، الذي قاطعها قائلًا «سيدتي، هذا الرجل واحدٌ من مرتزقة ((ستاندفاست))، وكان مع السير بينيس من الترس البني عندما هاجم أحد حفّاريك عند السد وشقّ وجه ولمار. أرسله أوزجري العجوز ليتعامل معك».

«لقد فعل يا سيدتي، وأنا أُدعى السير دانكن الطويل».

وقال فارسٌ ملتحٍ يرتدي صاعقة برق آل ليجوود الثلاثية «السير دانكن البليد، هذا أفضل». وانطلقت المزيد من القهقهات، وحتى الليدي هيليسنت استعادت نفسها بشكلٍ كافٍ لتضحك بخفوت.

وسألت الفتاة «هل ماتت كياسة ((كولدموت)) مع موت اللورد والدي؟». وفكّر دانك: *ليست فتاةً، بل امرأة بالغة* «أتسائل كيف ارتكب السير دانكن خطأً كهذا؟».

وأعطى دانك نظرة شريرة لإنشفيلد «كان الخطأ خطأي».

«حقًا؟». وتفحصت الأرملة الحمراء دانك من أخمص كعبيه حتى رأسه، إلا أنها توانَت طويلًا في نظرها على صدره «شجرة ونجم ساقط. لم أرَ هذه الشعارات من قبل». ولمست سترته، وتتبعت غصنًا من شجرة الدردار بإصبعين «ومصبوغةً أيضًا، وليست مخيطة. سمعت أن الدورنيين يصبغون حريرهم، ولكنك كبير جدًّا على أن تكون دورنيًا».

«ليس جميع الدورنيين صغارٌ يا سيدتي». يستطيع دانك أن يشعر بأصابعها من خلال الحرير. كانت يدها منمشة أيضًا، وفكّر دانك: *أراهن بأن جسمها منمشٌ بأكمله*. كان فمه جافًّا بغرابة «لقد قضيت عامًا في دورن».

وقالت بينما تتبعت أصابعها غصن شجرة حول قلبه «أتنمو كل أشجار السنديان طويلة هنالك؟».

«من المراد أن تكون شجرة دردار يا سيدتي».

«سأحرص على أن أتذكر هذا». وسحبت يدها، برصانة «الساحة حارة جدًّا ومغبرّة على خوض النقاش. أيها السپتون، اصحب السير دانكن إلى غرفة المقابلات».

«سيكون هذا من دواعِ سروري يا زوجة أخي».

«سيكون ضيفنا ظمآنًا، يمكنك أن ترسل في طلب إبريق من النبيذ أيضًا».

وابتسم الرجل السمين «هل يجب علي ذلك؟ حسنًا، إذا كان هذا يرضيك».

«سأنظم إليكما بمجرد أن أبدل ملابسي». وحلَّت حزامها وجعبة أسهمها وناولتهما إلى رفيقها «سأرغب بوجود المايستر سيريك أيضًا، اذهب واطلب منه أن يحضر يا سير لوكاس».

وقال لوكاس الإنش الطويل «سأحضره على الفور يا سيدتي».



كانت النظرة التي أعطتها لحامي قلعتها باردة «لا داع لهذا. أعلم أن لديك العديد من الواجبات لتؤديها بخصوص القلعة. سيكفي لو أن ترسل المايستر سيريك إلى حجرتي».

ناداها دانك «سيدتي. لقد أُجبر مرافقي على الانتظار عند البوابات هل له أن ينظم إلينا أيضا؟».

«مرافقك؟» لقد بدت كفتاة في الخامسة عشر حينما ابتسمت وليس كامرأة في الخامسة والعشرين، فتاة جميلة مليئة بالضحك والشقاوة «بالتأكيد، إذا كان هذا يسعدك».



همس له ايغ بينما كانوا ينتظرون السپتون في قاعة الجلسات خاصتها «سيدي، لا تشرب النبيذ». كانت الأرضيات الحجرية مغطاة بالأعشاب

الأسلية ذات الروائح الحلوة، والجدران العملاقة مغطاة بالأقمشة المرسوم عليها مشاهد بطولية ومعارك.

نخر دانك معترضًا «ليس لديها سبب لتسميمي». وهمس ردًّا على ايغ «إنها تظنني أخرقًا كبيرًا بعصيدة بازلاء بين أذنيه».

وقال السپتون سيفتون حين ظهر وبيده إبريق من النبيذ، وإبريق من الماء، وثلاثة كؤوس «يا للمصادفة، فزوجة أخي تحب عصيدة البازلاء. أجل، أجل سمعت. فأنا سمينٌ ولست أصمًّا». وملأ كأسين بالنبيذ وكأسًا بالماء. وأعطى الكأس الثالث لايغ الذي رمقة بنظرة فاحصة ومرتابة ووضعه جانبًا، ولم ينتبه السپتون. وقال لدانك «هذا نبيذ الكرمة المعتق. ممتاز جدًا، وقد أعطاه السم مذاقًا خاصًا». وغمز لايغ «بالكاد لمست العنب عن نفسي، ولكن هذا ما سمعته». وأعطى كأسًا لدانك.

كان النبيذ شهيًا وحلو المذاق، إلا أن دانك ارتشف منه بحذر، كان هذا فقط حين رأى أن السپتون قد كرع نصف كأسه بثلاث جرعات كبيرة وهو يتلمظ بشفتيه. عقد ايغ يديه واستمر في تجاهل كأسه. وقال السپتون «تروق لزوجة أخي عصيدة البازلاء، وأنت أيضًا تروق لها يا سيدي، أنا أعرف زوجة أخي جيدًا، حين رأيتك في الساحة للمرة الأولى أملت للحظة أنك خاطب ما أتيت من (كينجزلاندينج) لطلب يد سيدتي». رفع دانك حاجبيه «وكيف عرفت أنني من (كينجزلاندينج) أيها السپتون؟».

«لسكان (كينجزلاندينج) لكنة خاصة بهم». وأخذ السپتون جرعة نبيذ، دفقها في فمه وبلعها ثم تنهد بارتياح «لقد خدمت هنالك لعدة سنوات، ومثلت أمام سپتوننا الأعلى في سپت بايلور العظيم». ثم تنهد «ما كنت لتتعرف على المدينة منذ الربيع، النيران غيرتها، ربع البيوت احترقت، والربع الآخر فارغ، حتى الفئران رحلت وهذا أكثر ما يثير الاستغراب، لم أكن أتوقع أنني سأرى مدينة بلا فئران قط».



كان دانك قد سمع بذلك أيضا «هل كنت هنالك أثناء مرض الربيع العظيم؟».

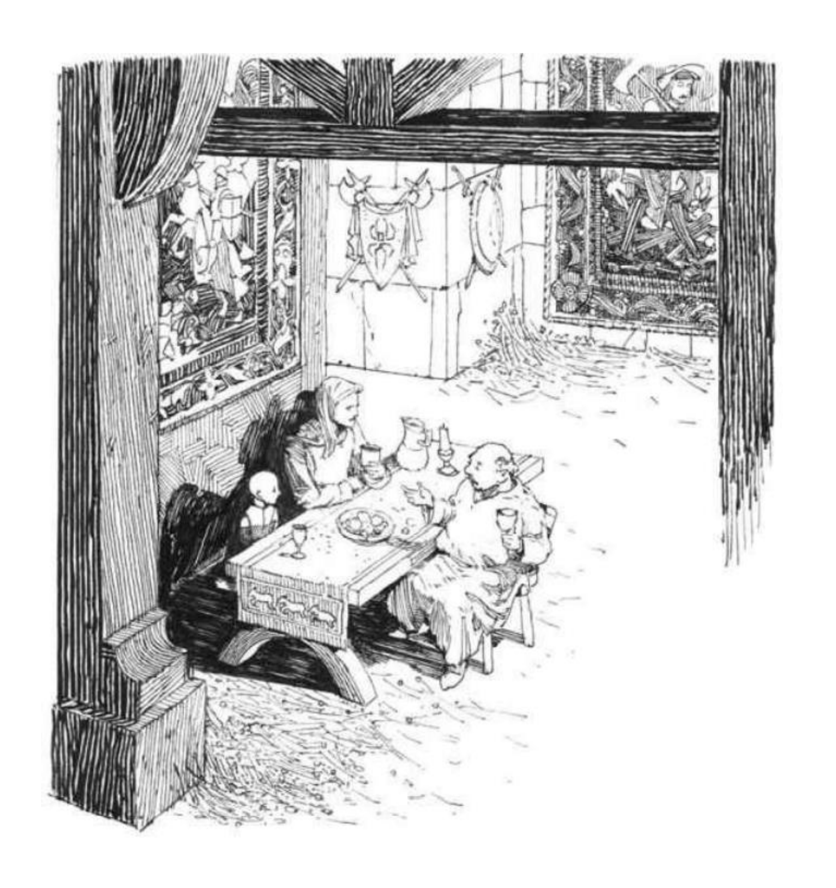
«أوه، بالطبع. أيام مروعة يا سيدي، مروعة. كان الرجال الأقوياء بأتم صحة في الصباح ولكنهم يموتون عند حلول المساء. مات الكثير بسرعة لدرجة أنه لم يكن هنالك وقت لدفنهم. وبدلًا من ذلك كوموهم فوق بعضهم البعض في جب التنانين، وحينما وصل طول أكوام الجثث عشرة أقدام من على الأرض، أمر اللورد ريفرز الپايرومانسرات بحرقهم. كان ضوء النيران يسطع من خلال النوافذ، كما سطعت النيران في الماضي عندما عاشت التنانين تحت تلك القبة. وفي الليل كنت تستطيع أن ترى توهج النيران في جميع أنحاء المدينة. التوهج الأخضر القاتم للنيران الشعواء. يقال بأن الربيع كان سيئًا في (لانسپورت)، وأسوأ في (البلدة القديمة)، أما في (كينجزلاندينج) فقد مات أربعة من أصل كل عشرة. لم ينجُ صغير ولا كبير، ولا غني ولا فقير، حتى السپتون الأعلى قد مات، صوت الآلهة على الأرض، وثلث من أكثر الأخوات الصامتات تقاءًا وقربًا من الآلهة، وجلالة الملك دايرون، ماتارس العزيز وڤالار الجسور، اليد...أوه، لقد كان وقتًا عصيبًا، وفي

النهاية، كانت نصف المدينة تصلي إلى الغريب». وأخذ شربة أخرى «وأنت يا سيدي أين كنت؟».

وقال دانك «في دورن».

«إذًا أشكر الأم لرحمتها». لم يصل مرض الربيع العظيم إلى دورن قط، ربما لأن الدورنيين قد أغلقوا حدودهم وموانئهم، كما فعل آل آرن في (العش) الذين لم يصلهم المرض أيضا «كل هذا الكلام عن الموت كافٍ لسد شهية الرجل عن النبيذ، لكن حتى في وقتنا الراهن من الصعب أن تعم السعادة. وطال الجفاف حتى صلواتنا، غابة الملوك كصندوق من الصوف، تأججت النيران فيها ليلًا ونهارًا، والفولاذ الأليم مع أبناء ديمون بلاكفاير يحيكون المؤامرات في (تايروش)، وكراكنات داجون قرايجوي يجوبون (بحر الغروب) كالذئاب، مغيرين جنوبًا حتى (الكرمة)، قيل إنهم نهبوا نصف ثروة (جزيرة الحسناء) ومئة من النساء أيضًا، اللورد فارمان يعمل على تقوية دفاعاته، لكنه يبدو لي أقرب إلى رجل يحمي ابنته الحامل بثياب العفة بينما حجم بطنها كبير كبطني، واللورد براكن يموت ببطءٍ في (الثالوث) وابنه الأكبر قد هلك في الربيع، هذا يعني أن السير أوثو سيكون خليفته. لن يقبل آل بلاكوود أبدًا بوحش آل براكن جارًا لهم، وسيعني هذا الحرب».

كان دانك يعلم بشأن الخصومة القديمة بين آل بلاكوود وآل براكن «ألن يجبرهم اللورد الحامي على السلام؟».



وقال السپتون سيفتون «للأسف لا، اللورد تلي صبي في الثامنة ومحاط بالنساء. ستفعل (ريڤررن) القليل، والملك ايريس سيفعل أقل من ذلك. إلا إن كتب أحد المايسترات كتابًا عن ذلك، وإلا فإنه قد لا يلاحظ هذه المسألة أبدًا. واللورد ريڤرز لن يسمح لأي من آل براكن بمقابلته. لا تنسى أن اليد ولد نصف بلاكوود. وسمت الأم اللورد ريڤرز في يوم ولادته، ووسمه الفولاذ الأليم مجددًا في حقل العشب الأحمر».

علم دانك أنه يقصد الغراب الدامي. بريندن ريڤرز كان اسم اليد الحقيقي. كانت أمه من آل بلاكوود، وأباه الملك ايغون الرابع.

شرب الرجل السمين نبيذه وأكمل ثرثرته «أما بالنسبة لايريس، فجلالته يهتم باللفائف والنبوءات المغبرة أكثر من اللوردات والقوانين. ولن يكلف نفسه حتى أن ينجب وريثًا له. كانت الملكة إلينور تصلي في السپت العظيم يوميًا، تتضرع للأم في الأعالي لتنعم عليها بطفل، وعلى الرغم من ذلك فقد

بقيت عذراء. كان لايريس حجرته الخاصة، وقيل بأنه يفضل أن يأخذ كتابًا معه إلى الفراش على أن يأخذ أي امرأة». وملأ كوبه مجددًا «تأكد بأن الغراب الدامي هو من يحكمنا بتعاويذه وجواسيسه. وليس هنالك من يعارضه. الأمير مايكار متجهمٌ في (قلعة الصيف)، تزيد غضبته ضد أخيه الملكي. أما الأمير ريجال خنوع كما هو مجنون، أما أطفاله فهم... مجرد أطفال. والأصدقاء والمفضلون لدى اللورد ريڤرز يشغلون كل منصب، ولوردات المجلس الصغير يلعقون يده، والسپتون الأعلى الجديد منغمس بالشعوذة مثله. يعض اللورد ريڤرز على القلعة الحمراء بأسنانه ولا يرى أحد الملك إلا بأمره».

تحرك دانك بانزعاج على مقعده. وفكّر: *كم عينًا للغراب الدامي؟ ألف عين وعين واحدة*. أمل أن يد الملك لا يملك ألف أُذن وأُذنًا واحدة أيضًا. فبعض ما قاله السپتون سيفتون يبدو كخيانة. نظر إلى ايغ بنظرة خاطفة ليرى كيف كان يتقبل كل هذا الكلام. كان الصبي يكافح بكل ما لديه من قوة محاولًا أن يمسك لسانه. دفع السپتون قدميه واقفًا «ستأخذ زوجة أخي وقتًا لتستعد. كحال كل السيدات العظيمات، أول عشر فساتين تجربها لن تناسب مزاجها. هل تريد المزيد من النبيذ؟». ولم ينتظر إجابة ليعيد تعبئة الكأسين. قال دانك راغبًا في تغيير الموضوع «السيدة التي أخطئت بكونها الليدي روهان. هل هي أختك؟».

«كلنا أبناء السبعة يا سيدي، لكن بغض النظر عن هذا... إلهي، لا. السيدة هيليسنت أخت السير رولاند أوفرنج، زوج الليدي روهان الرابع، الذي مات في الربيع. سبقه أخي السير سيمون ستانتون، الذي كان ذو حظ شديد السوء واختنق بعظمة دجاجة. اكتظت ((كولدموت)) ببقاياهم، لابد من ذكر ذلك. مات أزواجها ولكن أقرباءهم بقوا، ليشربوا نبيذها ويأكلوا حلوياتها، كجيشٍ من الجراد الوردي ممتلئ الجسم الذي يلبس الحرير والمخمل». ومسح فمه «على الرغم من ذلك فلابد لها أن تتزوج مجددًا، وقريبًا». وقال دانك «لابد؟».

«رغبة اللوردوالدها تتطلب ذلك. اللورد وايمان أراد أحفادًا ليستمروا بنسله. وحينما مرض حاول أن يزوجها للإنش الطويل، حتى يموت وهو يعلم أن

لديها رجلًا قويًا يحميها، لكن روهان رفضته. إلا أن حضرة اللورد أخذ على عاتقه أن يقتص منها في وصيته. إذا بقيت غير متزوجة حتى يحول الحول على موته مرتان فإن ((كولدموت)) وأراضيها ستورث إلى قريبه ويندل. ربما لمحته في الساحة. رجل قصير ولديه ورم في رقبته، وكثيرًا ما يخرج الغازات. ولكن من الوقاحة مني ذكر ذلك. فأنا مبتليٌ أيضًا بكثرة إطلاق الريح. أيًا ما يكون. السير ويندل جشع وغبي، لكن السيدة زوجته أخت اللورد روان... وهي شديدة الخصوبة، لا يمكن إنكار هذا. فلكل ضرطة يضرطها تنجب هي ابنًا، وابناؤهم بقدر سوء أبيهم، وبناتهم اسوأ، وكلهم بدأوا بعد الأيام المتبقية. وأيد اللورد روان الوصية، وعلى هذا فلدى حضرة الليدي من الوقت حتى القمر الجديد».

وتساءل دانك بصوت عالٍ «ولماذا انتظرت كل هذا الوقت؟».

هز السيپتون كتفيه «إذا قيل الحق، لقد كان هنالك شُحٌّ في عدد المتقدمين. لا ينقص زوجة أخي الحسن كما ترى ذلك، وهنالك قلعة قوية وأراضٍ واسعة تزيدها جمالًا. وإذا كنت تظن أن أبناء اللوردات الصغار والفرسان الذين لا يملكون الأراضي سيحتشدون على حضرة الليدي كالذباب فأنت مخطئ. أزواجها الأربع المتوفون محط قلق، وهنالك من يقول بأنها عاقرٌ أيضا... ولكن ليس في حضورها، إلا إذا كانوا يتوقون لرؤية قفص غربان من الداخل. لقد حملت طفلين في بطنها، فتاة وصبي، ولكن لم يعش أيًا منهما ليشهد يوم ميلاده، ومن لم ينفر من كل الكلام عن السموم والشعوذة نفروا من الإنش الطويل. عينه اللورد وايمان وهو على فراش الموت لحماية ابنته من المتقدمين الغير جديرين بها، والذي فهمه هو أن عليه أن يحميها من جميع المتقدمين. وعلى كل رجل ينوي أن يتقدم لها مواجهة سيفه أولا». وأنهى نبيذه ووضع كأسه جانبًا «لا يمكن القول بأنه لم يكن هنالك أحد. كليتون كازويل وسيمون ليجوود كانا الأكثر إلحاحًا، ولكن على ما يبدو أنهما مهتمان بأراضيها أكثر من شخصها. ولكن إذا ما كنت شخصًا كثير المراهنة فسأضع ذهبي على جيرولد لانستر. إلا أنه لم يظهر بعد، ولكنهم يقولون بأنه أشقر الشعر وسريع البديهة، وطوله يزيد عن ستة أقدام...».

«...والليدي وير مأخوذة برسائله». وقفت الليدي التي يدور حولها النقاش على الباب، بجانب مايستر صغير بشع ذو أنف معقوف «ستخسر رهانك يا أخ زوجي. فجيرولد لن يتخلى عن ملذات (لانسبورت) وروعة (كاسترلي روك) عن طيب خاطر لأجل لوردية صغيرة كهذه. فلديه سلطة أكبر بصفته أخًا للورد تايبولت ومستشاره أكثر مما يمكن أن يحصل عليه حين يصبح زوجي. أما بالنسبة للآخرين، فالسير سيمون سيحتاج إلى أن يبيع نصف أراضيّ ليسدد ديونه والسير كليتون يرتعش كورقة شجر كلما تكرّم الإنش الطويل بالنظر إليه. بالإضافة إلى أنه أجمل مني. وأنت، أيها السپتون، لديك أكبر فم في ويستروس».

قال السپتون سيفتون بلا أي خجل «البطن الكبيرة تتطلب فمًا كبيرًا. وإلا فإنها ستصبح صغيرة».

وسأل ايغ مندهشًا «هل أنت الأرملة الحمراء؟ يكاد طولي أن يصل إلى طولك!».

«نبهني صبي قبلك بهذا قبل نصف عام وقد أرسلته إلى المخلعة ليزداد طولًا». وسحبت الليدي روهان ضفيرتها إلى الأمام فوق كتفها حين صعدت على المقعد العالي فوق المنصة، كانت الضفيرة طويلة جدًا لدرجة أن طرف نهايتها التفّ في حضنها كقطة نائمة «سير دانكن، لم يكن يجب علي أن أضايقك في الساحة بينما كنت تحاول أن تكون شديد الكياسة، لكنك احمررت خجلًا وبشدة... ألم تكن هنالك فتاة تتحرش بك في القرية التي كبرت بها لهذا الطول؟».

«القرية كانت (كينجزلاندينج)». لم يذكر جحر البراغيث «كان هنالك فتيات، ولكن...». قد يتضمن نوع التحرش في جحر البراغيث قطع أصبع. «أعتقد أنهن كن خائفات من أن يتحرشن بك». وملّست الليدي روهان شعرها «وبلا شك كن مذعورات من حجمك. أرجوك ألا تسيئ الظن بالليدي هيليسنت. أخت زوجي بسيطة العقل، ولكنها لا تضمر الشر في نفسها. ولشدة تقواها، لم تكن حتى لترتدي ملابسها بدون سپتوناتها».

«لم تكن غلطتها، كان الخطأ مني».

«أنت تكذب بشجاعة. أعلم بأنه كان السير لوكاس. إنه رجل ذو دعابات قاسية، وأنت أهنته في أول لقاء».

وقال دانك حائرًا «كيف؟ إنني لم أؤذيه قط».





وابتسمت ابتسامة جعلته يتمنى لو أنها من نسب أبسط «رأيتك تقف معه، أنت أطول بشبر، أو قريب بما فيه الكفاية. لقد مضى وقت طويل منذ آخر مرة قابل فيها السير لوكاس شخصًا لا ينظر له من أعلى. كم عمرك يا سيدي؟».

«قريب من العشرين، إذا كان هذا يسعد سيدتي». أحب دانك وقع العشرين على مسامعه، لكنه على الغالب كان أصغر بسنة أو اثنتين. لم يكن أحد متأكدًا من ذلك، وهو أقلهم تأكدًا. بالتأكيد كان له أب وأم كحال الجميع لكنه لم يعرفهم قط، ولا حتى أسمائهم، ولم يهتم أحد قط متى ولمن ولد في جحر البراغيث «هل أنت بالقوة التي تبدو عليها؟».



«وما مدى قوتي بنظرك يا سيدتي؟».

«أوه، قوي بما في الكفاية لمضايقة السير لوكاس، إنه حامي قلعتي، لكن ليس بمحض إرادتي، مثل ((كولدموت))، هو من إرث أبي. هل كسبت الفروسية من أرض معركة ما يا سير دانكن؟ كلامك يبين أنك لم تولد من دم نبيل، إذا سمحت لي بقول هذا».

وفكّر: *لقد ولدت من دم المجاري* «أخذني فارس متجول اسمه السير آرلان من شجرة البنسات كمرافق له حينما كنت مجرد صبي. وعلمني الفروسية وفنون الحرب».

«وهذا السير آرلان هو من نصبك فارسًا؟».

عدل دانك قدميه، ورأى أن أحد حذاءيه محلولة الرباط «لم يكن ليفعلها شخص آخر».

«وأين السير آرلان الآن؟».

«لقد مات». ورفع عينيه. يمكنه أن يربط حذاءه لاحقًا «دفنته على سفح تل».

«هل سقط ببسالة في معركة؟».

«كانت هنالك أمطار وأصابه البرد».

«الرجال المسنون ضعفاء، أعرف هذا. تعلمت هذا من زوجي الثاني. كنت في الثالثة عشر حين تزوجنا، وكان ليصبح في الخامسة والخمسين في يوم ميلاده القادم، لو أنه عاش وقتًا أطول ليشهده. وبعد مرور نصف عام على دفنه، أنجبت له ابنًا، لكن الغريب أتى ليأخذه أيضًا. قال السپتونات أن الأب أراد ابنه بجانبه. ما رأيك أنت يا سيدي؟».

وقال دانك بتردد «حسنًا، قد يكون هذا ما جرى يا سيدتي».

وقالت هي «غير معقول، لقد ولد الصبي شديد الضعف. شيء ضئيل جدًا. وكانت قوته بالكاد تكفيه للرضاعة. ومع ذلك، أعطت الآلهة أباه خمسًا وخمسون عامًا. كان المرء ليظن أنها ستعطي ابنه أكثر من ثلاثة أيام».

«هذا ما سيظنه المرء». لم يعرف دانك إلا القليل جدًا عن الآلهة. كان يذهب للسپت أحيانًا ويصلي للمحارب ليمد يديه بالقوة، ولكن غير ذلك فقد كان يترك السبعة وشأنهم.

وقالت له «آسفة بشأن موت السير آرلان، وأشد أسفًا لأنك قدمت سيفك للسير يوستاس. الرجال المسنون ليسوا متشابهين أيها السير دانكن. ستحسن الصنع إذا عدت إلى وطنك في شجرة البنسات».

«كلا. موطني حيث أقسمت بسيفي». لم يرَ دانك شجرة البنسات أبدًا، ولم يكن ليدري إذا كانت في المرعى أصلًا أم لا «أقسم بسيفك هنا إذًا. هذه الأوقات لا يمكن التنبؤ بها، وأنا بحاجة إلى الفرسان. وأنت يبدو عليك أن لك شهية جيدة. كم دجاجة تستطيع أن تأكل؟ في ((كولدموت)) تستطيع أن تأخذ ما تريد من اللحوم الوردية الدافئة وفطائر الفواكه الحلوة. كما يبدو على مرافقك الحاجة للتغذية. يبدو هزيلًا جدًا لدرجة أن شعره قد تساقط. سنجعله يشارك حجيرة مع الصبية الآخرين الذين في نفس سنه، سيعجبه هذا. وسيدربه قيم السلاح خاصتي على كل فنون الحرب».

وقال دانك مدافعًا «أنا أدربه».

«ومن أيضا؟ بينيس؟ أوزجري العجوز؟ الدجاج؟».

كانت قد مرت أيام أمر فيها دانك ايغ بملاحقة الدجاج. وفكّر دانك: *إن هذا يساعده بأن يصبح أسرع*، لكنه علم أنها ستضحك إذا ما أخبرها بذلك. كانت تشتت انتباهه بأنفها الأفطس ونمشها. فذكر دانك نفسه بسبب إرسال السير يوستاس له هنا. وقال لها «سيفي مقسم لسيدي أوزجري يا سيدتي، وهكذا سيكون الأمر».

«فليكن يا سيدي. لنتحدث عن الأمور الأقل دماثة». وسحبت الليدي روهان شعرها «نحن لا نعاني من هجمات على ((كولدموت)) أو ناسها. إذًا قلي، ما الذي يمنعني من أن أضعك في كيس وأخيطك فيه؟».

وذكرها «لقد جئت للتفاوض معك، ولقد شربت نبيذك». لازال الطعم في فمه غنيًا وحلوًا. وإلى الآن لم يتسمم، ربما كان النبيذ هو ما جعله شجاعًا «وليس لديك كيس كبير بما يكفي لأجلي».

جعلتها ظرافة ايغ تبتسم، مما خفف التوتر على دانك «ولكن لدي أكثر من كيس يكفي للسير بينيس، المايستر سيريك يقول أن وجه ولمار كان مشقوقًا حتى العظم».

«السير بينيس فقد أعصابه مع الرجل يا سيدتي. وأرسلني السير يوستاس هنا لكي أسدد فدية الدم».

وضحكت «فدية الدم؟ إنه رجل عجوز، أعرف هذا، ولكنني لم أدرك أنه كبير إلى هذا الحد. هل يظن أننا نعيش في عصر الأبطال، حيث تقدر حياة الرجل بما لا يزيد عن كيس من الفضة؟».

وذكرها دانك «الحفار لم يمت يا سيدتي، لم أرَ أحدًا يموت، لقد شُقَّ وجهه وهذا كل ما في الأمر».

لعبت أصابعها بعشوائية بضفيرتها «وبكم قدر السير يوستاس سعر خد ولمار يا تُرى؟».

«أيل فضي واحد. وثلاثة لك يا سيدتي».

«وضع السير يوستاس سعرًا زهيدًا على شرفي، لكن يجدر القول أن ثلاثة أيائل فضية أفضل من ثلاثة دجاجات، أعترف بذلك. خيرٌ للسير يوستاس لو أنه أوصل السير بينيس لي كي أعاقبه».

«هل سيتضمن هذا الكيس الذي ذكرتيه؟».

«قد يتضمنه». ولفت ضفيرتها على يد واحدة «فليحتفظ أوزجري بفضته. فقط الدم يمكنه أن يعوض الدم».

قال دانك «حسنًا، قد يكون هذا كما تقولين يا سيدتي، ولكن لمَ لا نرسل للرجل الذي شق السير بينيس خده ونسأله إذا ما كان يفضل أيلًا فضيًا أم السير بينيس في كيس؟».

«أوه، سيختار الفضة إذا لم يقدر أن يحصل على الإثنين معًا، لا أشك في هذا يا سيدي. لكنه ليس قراره ليختار. الموضوع يتعلق بالأسد والعنكبوت الآن، وليس بخد فلاح. بينيس هو ما أريد، وبينيس هو ما سأحظى به. لا أحد يتجول في أرضي، ويؤذي أحدًا يخصني، ويهرب ليضحك لاحقًا».

وقال دانك، قبل أن يقف ليفكر في هذا «سيادتك ركبت إلى أرض ((ستاندفاست))، وآذيتي شخصًا يخص السير يوستاس».

وشدت ضفيرتها مجددًا «هل فعلت ذلك؟ إذا كنت تقصد سارق الأغنام، فالرجل كان سيئ السمعة. لقد شكيته إلى أوزجري مرتين، ولكنه لم يفعل شيئًا. وأنا لا أطلب ثلاث مرات. قانون الملك يمنحني حق الإغراق والشنق».

لقد كان ايغ من أجابها، وأصر الصبي «على أرضك، قانون الملك يعطي اللوردات حق الإغراق والشنق على أرضهم».

وقالت له «صبي ذكي، إذا كنت تعرف إلى هذا الحد، كنت ستعرف أيضًا أن الفرسان ملاك الأراضي ليس لديهم الحق في المعاقبة بدون إذن لوردهم الحامي. السير يوستاس مسؤول عن (ستاندفاست) للورد روان. بينيس كسر سلام الملك حين أراق الدماء ويجب أن يُقابل بردٍّ». ونظرت إلى دانك «إذا

أرسل السير يوستاس بينيس لي سأكتفي بشق أنفه. ولكن إذا اضطررت إلى الذهاب وأخذه بنفسي فلن أعدك بتسويةٍ مثل هذه».

شعر دانك بإعياء مفاجئ في جوف معدته «سأخبره، لكنه لن يسلم السير بينيس». وقال مترددًا «السد هو سبب كل هذه المشاكل، فقط لو قبلت حضرة الليدي أن تهدمه....».

ووضح المايستر الصغير الذي كان يقف بجانب الليدي روهان «مستحيل، ((كولدموت)) تعيل عشرين ضعفًا من العامة التي تعيلها ((ستاندفاست)). ولدى حضرة الليدي حقول من القمح والذرة والشعير، كلها تموت من الجفاف. ولديها نصف دستة من البساتين، من التفاح والمشمش، وثلاث أنواع من الإجاص. لديها أبقار على وشك الولادة، وخمسمئة رأس من الخراف سوداء الأنف، وتستولد أجود أنواع الأحصنة في المرعى. ولدينا دستة من الأفراس على وشك الولادة».

قال دانك «السير يوستاس لديه خراف أيضًا، ولديه بطيخ في الحقول، فاصولياء وشعير، و... ».

وقال ايغ بصوتٍ عالٍ «أنتم تأخذون الماء لأجل الخندق!».

فكر دانك: *كنت سأتطرق للخندق.*

وأكد المايستر «الخندق مهم لدفاعات ((كولدموت))، هل تقترح أن تجعل الليدي روهان نفسها عرضة للهجوم في أوقات عصيبة كهذه؟».

وقال دانك متمهلًا «حسنًا، الخندق الجاف يبقى خندقًا. وسيدتي لديها جدران قوية، ورجال أشداء لحمايتها».

وقالت السيدة روهان «أيها السير دانكن، لقد كنت في العاشرة حين قام التنين الأسود. توسلت لأبي ألا يضع نفسه عرضة للخطر، أو على الأقل أن يترك زوجي. من سيحميني إذا رحل رجلاي؟ لذا أخذني عاليًا على الأسوار، وأراني نقاط قوة ((كولدموت)). وقال لي (أبقيها قوية، حينها سيبقونك بأمان. إذا قويتي دفاعاتك لن يؤذيك أحد قط)، كان الخندق هو أول شيء أشار عليه». ولفحت وجنتها بذيل ضفيرتها «زوجي الأول هلك في حقل

العشب الأحمر. إلا أن أبي وجد لي غيره، لكن الغريب أخذهم أيضًا. لم أعد أثق بالرجال، مهما بدوا أشداء. أضع ثقتي بالصخور والفولاذ والماء. أضع ثقتي في الخندق يا سيدي، وخندقي لن يجف».

وقال دانك «ما قاله أبوك صحيح، لكنه لا يعطيك الحق في سلب مياه أوزجري».

وجرَّت ضفيرتها «أعتقد أن السير يوستاس أخبرك أن مجرى الماء له».

وقال دانك «منذ آلاف السنين، لقد سمي بالمياه المربعة. هذا واضح».

«وهو كذلك». جرت ضفيرتها مجددًا، مرة واثنتان وثلاث «على الرغم من أن النهر يسمى الماندر، إلا أن آل ماندرلي شردوا من على ضفافه منذ ألف عام. (هايجاردن) لاتزال (هايجاردن)، إلا أن آخر جاردنر مات في حقل النار. (كاسترلي روك) تعج بآل لانستر ولا يمكنك إيجاد أي كاسترلي فيها. العالم يتغير يا سيدي. وهذه المياه المربعة تنبعث من (تلال حدوة الحصان)، والتي كانت بالكامل ملكي آخر مرة تأكدت فيها. والمياه ملكي أيضًا. أره أيها المايستر سيريك».

نزل المايستر من على المنصة. لا يمكن أن يكون أكبر من دانك، لكن بأروابه الرمادية وطوق سلسلته كانت لديه هالة من الحكمة المظلمة التي أخفت سنه. كانت بيده مخطوطة قديمة. وقال وهو يفتح المخطوطة ويعطيها لدانك «أنظر بنفسك يا سيدي».

وفكّر دانك: *دانك الأخرق، بليد كجدار قلعة*. شعر باحمرار وجنتيه مجددًا. وبحذر شديد أخذ المخطوطة من المايستر وقطب جبينه وهو ينظر للكتابة. لم تكن أي كلمة مفهومة بالنسبة له، لكنه عرف الختم الشمعي تحت التوقيع المنمق، تنين عائلة آل تارغيريان ذو الثلاث رؤوس. وفكّر: *ختم الملك*. كان ينظر إلى مرسوم ملكي من نوع ما. حرك دانك رأسه من جانب لأخر ليظنوا بأنه يقرأ، وتمتم بعد لحظات «هنالك كلمة هنا لم أستطع قراءتها، ايغ، تعال وألقِ نظرة، فنظرك أحد من نظري».

اندفع الصبي نحوه «أي كلمة يا سيدي؟». وأشار دانك «هذه؟ أوه». قرأ ايغ بسرعة ورفع عينيه لدانك وأعطاه إيماءة صغيرة.



وفكّر دانك: *إن المجرى لها. لديها وثيقة. ختم الملك بنفسه*. أحس دانك وكأنه تم لكمه في بطنه «هذا...لابد من وجود خطأ ما. أبناء الرجل العجوز ماتوا في خدمة الملك. لماذا قد يأخذ جلالته المجرى منه؟».

«لو أن الملك دايرون كان أقل تسامحًا لفقد هو رأسه أيضا».

كان دانك ضائعًا لوهلة «ماذا تقصدين؟».

وقال المايستر سيريك «إنها تقصد أن السير يوستاس أوزجري متمرد وخائن».

وقالت السيدة روهان «السير يوستاس أختار التنين الأسود على الأحمر، آملًا أن يعيد له ملك من آل بلاكفاير الأراضي والقلاع التي خسرها تحت حكم آل تارغيريان. كان يريد ((كولدموت)) على وجه الخصوص. دفع أبناءه حياتهم ثمنًا لخيانته. وألقت زوجته نفسها من أعلى برج ((ستاندفاست))

بعدما جلب عظام أبناءه معه وسلم ابنته كرهينة لرجال الملك. هل أخبرك السير يوستاس بهذا؟». وبدت ابتسامتها حزينة «كلا، لا أعتقد هذا».

«التنين الأسود». وفكّر دانك: *لقد أقسمت بسيفك إلى خائن، أيها الأخرق. لقد أكلت خبز خائن ونمت تحت سقف متمرد*. وقال مضطربًا «سيدتي. التنين الأسود.... كان هذا منذ خمسة عشر عامًا. ونحن في الحاضر الآن وهنالك جفاف. حتى وإن كان متمردًا حينها، إلا أن السير يوستاس لا يزال يحتاج إلى الماء».

نهضت الأرملة الحمراء وملست على تنورتها «إذًا فعليه أن يدعو أن تمطر».

حينها تذكر دانك جزءًا من كلام أوزجري في الغابة «إذا كنت لا تريدين أن تمنحيه جزءًا من الماء لأجل خاطره، إذًا افعليها لأجل ابنه».

«ابنه؟».

«آدام. لقد خدم هنا كوصيف ومرافقًا لأبيك».

كان وجه السيدة روهان جامدًا «اقترب». لم يكن يعرف ما يفعل سوى أن يطيعها. أضافت المنصة لها بعضًا من الطول، ولكن حتى مع ذلك كان دانك شامخًا فوقها. وقالت له «اركع». وقد فعل. اختزلت الصفعة التي أعطته كل القوة التي تملكها، وكانت أقوى مما بدت عليه. كان خده يحترق، وقد تذوق طعم دم من شفته المشقوقة، لكنها لم تؤذه فعلًا. ولوهلة ما كان كل ما يفكر به دانك هو أن يجرها من ضفيرتها الحمراء الطويلة ويضعها على حجره ليصفع مؤخرتها، كما يُصفع الطفل المدلل. وفكّر: *إذا فعلتها، ستصرخ وسيهجم علي عشرون جنديًا لقتلي*.

«كيف تجرؤ على استعطافي بذكر آدام؟». وتوسعت فتحتا أنفها «ارحل عن ((كولدموت)) فورًا يا سيدي». «لم أكن أقصد—».



«ارحل، وإلا لوجدت كيسًا كبيرًا بما يكفي لك حتى وإن اضطررت أن أخيط واحدًا بنفسي. أخبر السير يوستاس أن يجلب السير بينيس من الترس البني في الغد، وإلا سآتي من أجله بالنار والسيف. هل تفهمني؟ بالنار والسيف!».

جر السپتون ستيفون دانك من ذراعه مخرجًا إياه بسرعة من الغرفة. وتبعهم ايغ. همس السپتون السمين وهو يقودهم إلى الدرج «لم يكن هذا حكيمًا يا سيدي. لم يكن من الحكمة ذكر آدام أوزجري..».

«أخبرني السير يوستاس أنها كانت مولعة بالصبي».

ونفخ السپتون بثقل «مولعة؟ لقد أحبت الصبي، وهو أحبها. لم يتعدى الأمر قبلة أو اثنتين، لكن... كان آدام من نعته بعد حقل العشب الأحمر وليس الزوج الذي عرفته بالكاد. لقد لامت السير يوستاس على موته، وكان معها حق في ذلك. كان الصبي في الثانية عشر».

لقد عرف دانك ما يعنيه أن يحمل الانسان جرحًا. كان يفكر بالثلاثة رجال الصالحين الذين ماتوا لإنقاذ شخص وضيع النسب مثله كلما ذكر أحدهم مرج آشفورد، ولم يفشل الأمر ولو مرة في إيلامه «أخبر سيدتي أنه لم يكن في نيتي أن أجرحها. واستمح العذر منها».

وقال السپتون ستيفون «سأفعل كل ما أستطيع فعله يا سيدي، ولكن أخبر السير يوستاس أن يحضر إليها بينيس، وبسرعة. وإلا سيصعّب الأمر على نفسه. سيصعب الأمر جدًا».

انتظر دانك حتى اختفت أبراج وجدران ((كولدموت)) غربًا وراءهما لكي يلتفت إلى ايغ ويقول «ما الذي كان مكتوبًا في تلك الورقة؟».

«كان إثبات ملكية للورد وايمان وير من الملك. مكافأة على خدماته الوفية في التمرد الأخير، مُنح اللورد وايمان ونسله منحوا المياه المربعة كحق لهم، من بداية مصبه في (تلال حدوة الحصان) وحتى ضفاف (البحيرة المورقة). وأيضًا ذكرت أن اللورد وايمان ونسله لهم الحق في أخذ الغزلان الحمراء والخنازير البرية والأرانب من (غابة وات) متى ما شاءوا، وأن يقطعوا عشرين شجرة من الغابة في كل عام». وتنحنح الصبي «الملكية كانت فقط لوقت محدد. كُتِب في الورقة أنه إذا مات السير يوستاس بلا وريث ذكر من صلبه، ستعاد ((ستاندفاست)) إلى العرش، وستنتهي صلاحيات اللورد وير».

كانوا حماة التخوم الشمالية لآلاف السنين «لم يتركوا للرجل العجوز سوى برجٍ ليموت به».

وقال ايغ «ورأسه، جلالته ترك له رأسه يا سيدي. على الرغم من أنه كان متمردًا».

أعطى دانك نظرة للصبي «هل كنت لتأخذه؟».

فكر ايغ للحظة «في بعض الأحيان في البلاط، كنت أخدم مجلس الملك الصغير. كانوا يتشاجرون على نفس الموضوع. قال عمي بايلور بأن الرأفة هي الخيار الأفضل في التعامل مع عدو شريف. قد ينزل الرجل المهزوم سيفه ويضعه جانبًا ويركع إذا ما علم أنه سيعفى عنه. وإلا سيكمل القتال حتى الموت ويقتل المزيد من الرجال الأوفياء والأبرياء. لكن اللورد الغراب الدامي قال حين تعفي عن متمرد فأنت فقط تزرع بذورًا للتمرد القادم». كان صوته مليئًا بالشكوك «ولم قد يتمرد السير يوستاس على الملك دايرون؟ لقد كان ملكًا صالحًا، الجميع يؤكد ذلك. لقد وحد دورن مع البلاد وجعل الدورنيين أصدقاءنا».

«سيكون عليك أن تسأل السير يوستاس يا ايغ». كان دانك يعتقد بأنه يعرف الإجابة، لكنها لم تكن لترضي ايغ. وفكّر دانك: *كان يريد قلعة وعلى بوابتها أسد، لكن كل ما حصل عليه هو القبور بين التوت الأسود*. حين تقسم بسيفك لرجل فأنت تتعهد بالخدمة والطاعة، وأن تقاتل من أجله إذا لزم الأمر، لا أن تتطفل على شؤونه أو تشكك في ولاءاته... لكن السير يوستاس خدعه. وفكّر: *قال لي أن أبناءه ماتوا من أجل الملك مما جعلني أصدق أن مجرى الماء له*.

حل الليل عليهم في غابة وات.

كانت هذه غلطة دانك. كان يجب أن يأخذ الطريق مباشرة إلى القلعة كما رحل منها، لكنه بدلًا من ذلك اتجه شمالًا ليلقي نظرة أخرى على السد. كان لديه نصف خاطر بأن يهدم السد بيديه العاريتين. ولكن السبعة والسير لوكاس الإنش الطويل لم يكونا بهذا التهاون. حينما وصلوا للسد رأوا اثنان من رماة الأسهم يحرسونه بشعارات العنكبوت مخيطة على ستراتهم. وجلس أحدهم واضعًا رجليه العاريتين على المياه المسروقة. كان دانك ليخنقه بكل سرور لفعلة كهذه وحدها، لكن الرجل سمعهم وهم قادمين وكان سريعًا بما فيه الكفاية ليلتقط قوسه. وكان رفيقه أسرع، موترًا سهمه مسبقًا. أقصى ما كان يمكن أن يفعله دانك هو أن يعبس في وجوههم مهددًا.

وبعدها لم يجدوا إلا أن يعودوا أدراجهم. لم يكن دانك يعرف هذه الأراضي بقدر السير بينيس، ولكان من المهين أن يضيع المرء في غابة بصغر (غابة وات). كانت الشمس في الأفق وبدأت أوائل النجوم بالظهور مع أسراب من العث حينما عبروا مجرى الماء مبتلين به. وبين الأشجار الطويلة السوداء وجد ايغ لسانه مجددًا «سيدي؟ ذلك السپتون السمين قال أن أبي متجهمٌ في (قلعة الصيف)».

«الكلام هواء».

«أبي لا يتجهم».

قال دانك «حسنًا، قد يتجهم أحيانا. أنت تتجهم أحيانًا».

وقطّب وجهه «أنا لا أتجهم يا سيدي. هل أفعل؟».

«أحيانًا، ولكن ليس كثيرًا. وإلا لضربتك على أذنك أكثر».

«لقد ضربتني على أذني عند البوابة».

«لقد كانت بالكاد نصف ضربة. لو كانت ضربة كاملة لكنت عرفت ذلك».

«الأرملة الحمراء أعطتك ضربة كاملة».

لمس دانك شفته المتورمة «لا يجب أن تقولها بهذه السعادة على الأقل». وفكّر دانك: *لم يضرب أحد والدك قط على أذنه. وربما لهذا نشأ الأمير مايكار على ما هو عليه الآن*، وذكّر ايغ «حين نصب الملك اللورد الغراب الدامي يدًا له، رفض اللورد والدك أن يكون جزءًا من المجلس الصغير ورحل عن (كينجزلاندينج) إلى قلعته الخاصة. وجلس في (قلعة الصيف) لعام ونصف. ماذا تسمي هذا إن لم يكن تجهمًا؟».

ووضح ايغ بغطرسة «أسميه غضبًا، كان على جلالته أن يجعل أبي يدًا له. إنه أخوه، وأفضل قائد حربي في البلاد منذ أن مات عمي بايلور. اللورد الغراب الدامي ليس لوردًا حقيقيًا حتى، إنها فقط مجاملة غبية. إنه مشعوذ، ووضيع المولد أيضًا».



«وُلِد نغلًا، وليس وضيع المولد». قد لا يكون الغراب الدامي لوردًا حقيقيًا، لكنه كان من أب وأم نبيلين. أمه كانت إحدى عشيقات ايغون الغير جدير العديدات. صار نغول ايغون آفة الممالك السبع منذ موت الملك العجوز. لقد شرعهم جميعهم في فراش موته، ليس فقط النغول العظام كالغراب الدامي والفولاذ الأليم وديمون بلاكفاير، الذين كانت أمهاتهم سيدات، ولكن حتى النغول الأقل شأنًا الذين كانت أمهاتهم من العاهرات وبغايا الحانات وبنات التجار والممثلات العذارى في المسرحيات وكل فلاحة جميلة كانت لها فرصة جذب انتباهه. النار والدم هي كلمات عائلة آل تارغيريان، لكن سمع دانك السير آرلان مرة وهو يقول بأن كلمات ايغون يجب أن تكون (أغسلوها واجلبوها إلى سريري).

وذكّر ايغ «غسل الملك ايغون الغراب الدامي من نغوليته. كما فعل مع الباقين». وقال الصبي بعناد «قال السپتون العظيم القديم لأبي أن قانون الملك شيء، وقانون الآلهة شيء آخر، يُخلق الأطفال الشرعيون في فراش الزوجية، وهم مباركون من الأم والأب، ولكن النغول مخلوقون من شهوة وضعف، هذا ما قاله. أعلن الملك ايغون قراره بأن نغوله لم يعودوا نغولًا بعد، ولكنه لم يقدر على تغيير طبيعتهم. يقول السپتون الأعلى أن كل النغول ولدوا للخيانة... ديمون بلاكفاير، الفولاذ الأليم وحتى الغراب الدامي. قال بأن اللورد ريفرز أكثر احتيالًا من الإثنين الآخرين، ولكن في النهاية سيثبت أنه خائن مثلهم. أشار السپتون الأعلى على أبي ألا يضع أي ثقة فيه، ولا في أي نغل آخر عظيمًا كان أم وضيعًا».

فكّر دانك: *ولدوا للخيانة، ولدوا من الشهوة والضعف. لا يجب الثقة فيهم، عظماء كانوا أم وضيعين*. وقال دانك «ايغ، ألم يخطر على بالك ولو مرة أنني قد أكون نغلًا؟».

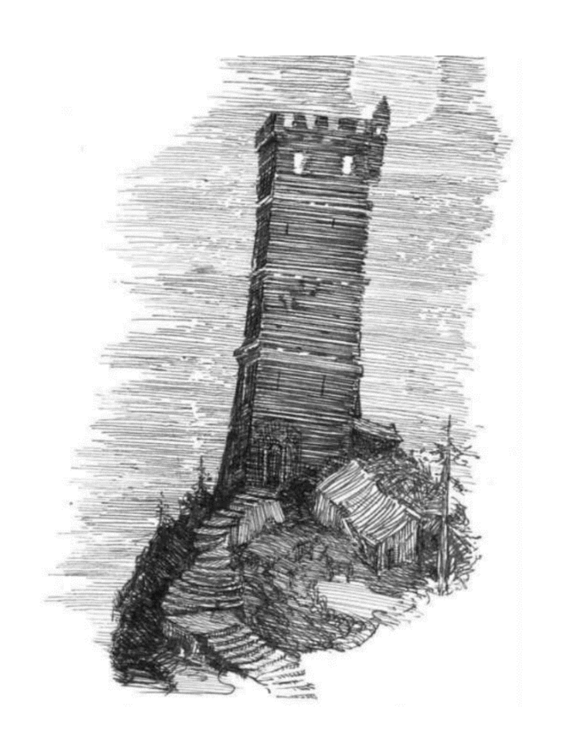
وباغتت الفكرة ايغ «أنت يا سيدي؟ أنت لست نغلًا».

«قد أكون. لم أعرف أمي قط، أو ماذا جرى لها. ربما ولدت كبير الحجم وقتلتها. لقد كانت عاهرة أو من بغايا ماخور على الأغلب. لا يوجد سيدات نبيلات المولد في جحر البراغيث. وإذا كانت قد تزوجت من أبي. حسنًا... ماذا جرى له إذًا؟». لم يكن دانك يحب أن يتذكر حياته قبل أن يجده

السير آرلان «كان هنالك محل أكل في (كينجزلاندينج، حيث كنت أبيع لهم الجرذان والقطط والحمام لأجل اليخنة البنية. ولطالما ادعى الطباخ أن أبي كان سارقًا أو نشالًا وكان يخبرني الطباخ (وعلى الغالب رأيته مشنوقًا، أو ربما أرسلوه للجدار). حين كنت مرافقًا للسير أرلان، كنت أساله إذا ما كان بوسعنا أن نتجه شمالًا يومًا ما، للخدمة في (وينترفيل) أو قلعة شمالية أخرى. كانت لدي بعض الخواطر بأنه إذا ما استطعت فقط أن أصل للجدار قد ألتقي برجل عجوز ما، رجل طويلٌ حقًا ويشبهني. لكننا لم نفعل. قال السير أرلان بأنه لا يوجد أسجية في الشمال وأن كل الغابات مليئة بالذئاب». وهز رأسه «خلاصة القول، على الأغلب أنك مرافق لنغل».

لم يجد ايغ شيئًا يقوله هذه المرة. كانت العتمة تزداد حلكة حولهم. تحركت الحشرات المضيئة ببطء بين الأشجار، وأضواءها الصغيرة كالنجوم العائمة. كان هنالك نجوم في السماء أيضًا، نجوم أكثر من أن يطمح أي رجل لعدها، حتى ولو عاش بطول عمر الملك جهيريس. كان على دانك فقط أن يرفع عينيه حتى يرى رفقته المألوفة: الفحل، والخنزيرة، وتاج الملك، وفانوس العجوز، والقادس، والشبح، وخادم القمر. ولكن كان هنالك غيوم في الشمال، وضاعت العين الزرقاء لنجم التنين الجليدي بينها، العين الزرقاء التي تشير شمالًا.

ظهر القمر في وقت وصولهم إلى ((ستاندفاست))، عاليًا في الظلمة فوق التلة. ورأى ضوءًا أصفر خافتًا يسقط من نافذة البرج العلوية. في أغلب الليالي كان السير يوستاس يخلد إلى فراشه بعد العشاء مباشرة، لكن ليس الليلة على ما يبدو. علم دانك: *إنه ينتظرنا*.





كان بينيس من الترس البني ينتظر في الأعلى أيضًا. وجدوه جالسًا على عتبات البرج، يمضغ أوراقًا من التبغ المر ويشحذ سيفه على ضوء القمر. كان صوت احتكاك الفولاذ بالصخر البطيء يسمع من بعيد. وعلى كثرة إهمال السير بينيس لمظهره وشكله إلا أنه كان يحافظ على أسلحته جيدًا. وقال بينيس «لقد عاد الأخرق، لقد كنت أشحذ سيفي للتو لكي أذهب وأنقذك من الأرملة الحمراء».

«أين الرجال؟».

«تريب ووات المبلل على السطح واقفان للحراسة في حال هجمت الأرملة. وزحف البقية إلى أسرتهم وهم يأنون. متألمين ومتقرحين. لقد أجهدتهم. أدميت ذلك الأحمق الكبير قليلًا، فقط لأجعله يغضب. فهو يحارب بشكل أفضل عندما يكون غاضبًا». وابتسم ابتسامته البنية والحمراء «لديك شفاه دامية لطيفة. لا تقلب الصخور في المرة القادمة. ماذا قالت المرأة؟».

«تنوي الاحتفاظ بالماء. وتريدك أنت أيضًا، لجرحك ذلك الحفار قرب السد».

وبصق بينيس «ظننت أنها ستفعل. الكثير من الإزعاج بسبب فلاح ما. كان يجب أن يشكرني. فالنساء يعجبن بالندوب على الرجال».

«إذًا فلن تمانع إذا قطعت أنفك».

«تبًا لذلك. إذا أردت أنفًا مقطوعًا لقطعت أنفي بنفسي». وأشار بإبهامه «ستجد السير عديم الفائدة في حجرته، يتذكر كم كان عظيمًا في السابق».

وتحدث ايغ «لقد قاتل في صف التنين الأسود».

كان دانك ليضرب ايغ، لكن الفارس البني اكتفى بالضحك «بالتأكيد فعل، انظر إليه، أيبدو لك كشخص قد يختار الجانب الرابح؟».

«ليس أكثر منك. وإلا لما كنت معنا هنا». والتفت دانك إلى ايغ «اذهب واعتنِ ب(رعد) و(مايستر) ثم تعال لتنظم إلينا».

حين نجح دانك بصرف ايغ، وجد الفارس العجوز يجلس عند الموقد برداء نومه، على الرغم من أن لا نيران مشتعلة فيه، وكانت كأس أبيه في يده، كأس

فضية ثقيلة قد صنعت لأحد لوردات آل أوزجري قبل الغزو. زُخرف أسد مربع على الكأس، صُنع برقائق اليشم والذهب، إلا أن بعض رقائق اليشم قد اختفت. رفع الرجل رأسه كمن استيقظ من حلم على صوت خطوات دانك «سير دانكن. لقد عدت. هل جعل منظرك لوكاس إنشفيلد يعيد النظر؟».

«ليس كما رأيت يا سيدي. بل جعله حانقًا على الأغلب». لقد أخبره بكل شيء بقدر المستطاع، إلا أنه شطب جزء الليدي هيليسنت، والذي كان سيجعله يبدو أحمقًا تمامًا. وكان ليشطب الصفعة أيضًا، إلا أن شفته تورمت ضعف حجمها الطبيعي، ولم يسع السير يوستاس إلا أن يلاحظ.

وعبس حين رأى الشفة المتورمة «شفتك...».

لمسها دانك بلطف «لقد أعطتني حضرة الليدي صفعة».

«لقد ضربتك؟». وفتح فمه ثم أغلقه «ضربت مبعوثي، الذي جاءها باسم الأسد المربع؟ تجرأت ومدت يديها عليك شخصيًا؟».

«فقط يد واحدة يا سيدي، لقد توقف النزيف حتى قبل أن نترك القلعة». وكوّر قبضته «إنها تريد السير بينيس وليس فضتك، ولن تهدم السد. لقد أرتني ورقة بكتابة عليها، وختم الملك بنفسه. مكتوب فيها أن المجرى لها، و...». ثم تردد «وقد قالت بأنك كنت...أنك قد..».

«...قاتلت مع التنين الأسود؟». بدا السير يوستاس منكسرًا قليلًا «لقد خشيت أن تفعل ذلك. إذا كنت تريد ترك خدمتي فلن أوقفك». حدق الفارس العجوز في كأسه ولكن لم يعرف دانك بماذا كان يفكر. «لقد أخبرتني بأن أبناءك ماتوا وهم يقاتلون مع الملك».

«وهذا ما فعلوه. الملك الشرعي، ديمون بلاكفاير. الملك الذي حمل السيف" وارتجف شارب الرجل العجوز «رجال التنين الأحمر يسمون نفسهم الأوفياء، ولكننا من اخترنا التنين الأسود كنا بنفس الوفاء في وقت مضى. لكن الآن...كل الرجال الذين زحفوا بجانبي ليُجلِسوا الأمير ديمون على العرش الحديدي قد اختفوا مثل ندى الصباح. قد أكون حلمت بهم.

أو بالغالب جعل اللورد الغراب الدامي بأسنان الغراب خاصته الرعب يدب في قلوبهم. لا يعقل أن يكونوا قد ماتوا جميعًا».

لم يقدر دانك أن ينكر هذه الحقيقة. حتى هذا الصباح لم يكن دانك قد قابل رجلًا قاتل مع المدعي. وفكّر دانك: *قد أكون التقيت بأحدهم على الرغم من هذا. كان هناك الآلاف منهم. نصف المملكة كانت للتنين الأحمر، والنصف الاخر للتنين للأسود* «كلا الطرفين قاتل ببسالة، هذا ما كان يقوله السير أرلان دومًا». ظن أن الفارس العجوز أراد سماع هذا.



هز السير يوستاس كأس النبيذ خاصته بكلتا يديه «لو أن ديمون تجاوز بحصانه جوين كوربراي... لو أن الكرة النارية لم يُقتل عشية المعركة... لو

أن آل هايتاور وآل تاربك وآل أوكهارت وآل بترويل أمدونا بكامل قوتهم بدلًا من أن يضعوا قدمًا في كل مخيم...لو أن مانفرد لوثستون أوفى بعهده بدلًا من الغدر.. لو أن العواصف لم تؤخر إبحار اللورد براكن مع الرماة المايريين...لو أن الإصبع السريع لم يقبض عليه مع بيوض التنين المسروقة... هناك الكثير من (لو)، لو أن أيًا مما قلت اختلفت نتيجته، لأخذ كل شيء منحنى آخر. وحينها سنسمى بالأوفياء، وكان الناس ليتذكروا الموالين للتنين الأحمر بالرجال الذين قاتلوا ليبقوا الغاصب دايرون الغير الشرعي على عرشه المسروق، وفشلوا».

وقال دانك «قد يكون ذلك صحيحًا يا سيدي، لكن الأمور حدثت كما جرى. كان ذلك كله منذ زمن بعيد، وقد تم العفو عنك».

«نعم، تم العفو عنا. سامح دايرون الخونة والمتمردين، شريطة ركوعنا وإعطائنا رهينة لكي يضمن ولائنا المستقبلي». كان صوته مريرًا «اشتريت رأسي بحياة ابنتي. كانت أليسان في السابعة حينما أخذوها إلى (كينجزلاندينج) وفي العشرين حين ماتت، أخت صامتة. ذهبت إلى (كينجزلاندينج) مرة لأزورها، لم تكن حتى لتتحدث إليّ، لم تكن تتحدث إلى أبيها. رحمة الملك هدية مسمومة. ترك لي دايرون تارغيريان حياتي، لكنه أخذ كبريائي وأحلامي وشرفي». ارتجفت يده وسكب بعضًا من النبيذ الأحمر في حجره لكن الرجل العجوز لم ينتبه «كان يجب علي أن أذهب للمنفى مع الفولاذ الأليم، أو أن أموت مع أبنائي وملكي العزيز. كانت ستكون ميتة تليق بالأسد المربع سليل اللوردات العظام والمقاتلين الأشاوس. رحمة دايرون جعلتني أوضع».

وأدرك دانك: *في قلبه، لم يمت التنين الأسود أبدًا*. «سيدي؟». كان هذا صوت ايغ. دخل الصبي الغرفة بينما كان السير يوستاس يتحدث عن موته. رمقه الفارس العجوز وكأنما كان يراه للمرة الأولى «نعم أيها الفتى؟ ماذا هنالك؟».

«إذا سمحت لي... تقول الأرملة الحمراء أنك قد تمردت لكي تحصل على قلعتها. هذا ليس صحيحًا، أليس كذلك؟».

«القلعة؟». بدا مرتبكًا «((كولدموت))... ((كولدموت)) قد وعدت لي من قبل ديمون، أجل، لكن...لم أفعلها بسبب الجشع، لا...».

وسأل ايغ «إذًا لماذا؟».

وعبس السير يوستاس «لماذا؟».

«لماذا كنت خائنًا؟ إذا لم يكن السبب من أجل القلعة».

نظر السير يوستاس إلى ايغ طويلًا قبل أن يجيب «أنت مجرد فتى صغير. ولن تفهم».

وقال ايغ «حسنًا، قد أفهم».

«الخيانة... مجرد كلمة. حين يتقاتل أميران على عرش لا يسع إلا شخصًا واحدًا فقط، فعلى اللوردات العظام وعامة الشعب أن يختاروا. وحين تنتهي المعركة، سيحتفى بالمنتصرين بصفتهم الأوفياء والمخلصين، بينما سيعرف المنهزمون بالمتمردين والخونة إلى الأبد. وكان هذا قدري».

وفكر بما قاله للحظة «أجل يا سيدي. ولكن الملك دايرون كان رجلًا خيرًّا. لماذا قد تختار ديمون؟».

«دايرون...». تلعثم السير يوستاس بالكلمة، وأدرك دانك بأنه نصف سكران «كان دايرون ضعيفًا ومنحني الكتفين، وبكرشة صغيرة تترجرج حين يمشي. أما ديمون فكان يقف مستقيمًا وفخورًا، وبطنه مسطحة وصلبة كترسٍ من السِّنديان. وكان يستطيعُ القتال. ببلطةٍ أو بحربةٍ أو بكرة شائكةٍ كان بقوة الفرسان الذين شهدتهم، أما بالسيف فقد كان (المحارب). لم يكن يضاهي ديمون أي رجل حين يمسك سيف بلاكفاير بيده... ولا حتى أولريك داين مع فجر، كلا، ولا حتى الفارس التنين بسيفه دارك سيستر. لك أن تعرف الرجل من رفقته يا ايغ. أحاط دايرون نفسه بالمايسترات، والسپتونات، والمغنين. وكان هنالك دومًا نساء يهمسن في أذنيه، وامتلأ بلاطه بالدورنيين. كيف لا وقد أخذ امرأة دورنية في فراشه وباع أخته العزيزة لأمير دورن رغم أنها أحبت ديمون؟ حمل دايرون نفس اسم التنين الصغير،

ولكن حين أنجبت زوجته الدورنية ابنًا سمى الطفل بايلور، تيمنًا بأضعف ملك جلس على العرش الحديدي قط».

«أما ديمون... كان ديمون بالتدين الذي يلزم بأن يكونه أي ملك، واجتمع كل الفرسان العظام لأجله. كان الغراب الدامي يريد أن تمحى أسمائهم، لذا منعنا من أن نتغنى بأمجادهم، لكنني أتذكر. روب راين، جارث الرمادي، السير أوبراي أمبروز، اللورد جورمون بيك، بايرون فلاورز الأسود، الناب الأحمر، الكرة النارية... الفولاذ الأليم! أجبني، هل كانت هناك قط مثل هذه الرفقة النبيلة، أو جمع من الأبطال كهذا؟ لماذا أيها الصبي؟ أتسالني أنت لماذا؟ لأن ديمون كان الرجل الأنسب. رأى الملك العجوز هذا أيضًا. لقد أعطى السيف لديمون بلاكفاير، سيف ايغون الفاتح، النصل الذي حمله كل ملك من آل تارغيريان منذ الغزو...وضع السيف بيد ديمون في اليوم الذي نصبه به فارسًا، كان فتًى في الثانية عشر».

وقال ايغ «يقول والدي بأن ذلك حدث لأن ديمون كان مقاتلًا، ولم يكن دايرون كذلك. لماذا تعطي حصانًا لرجل لا يُجيد الركوب؟ السيف ليس المملكة كما يقول».

ارتجفت يد الفارس العجوز بشدة لدرجة أن النبيذ انسكب من كأسه الفضية «والدك أحمق».



وقال الصبي «كلا، إنه ليس كذلك».

تقلب وجه أوزجري بغضب «لقد سألتني سؤالًا وأجبتك، لكنني لن أقبل بالإهانات. سير دانكن، يجب أن تضرب هذا الولد أكثر. فأدبه ينقصه الكثير. لو اضطررت إلى فعلها بنفسي سأفعل--».

وقاطعه دانك وقد استقرّ على قرار «كلا، لن تفعل يا سيدي. لقد أظلمت. سنرحل عند أول خيوط الفجر».

حملق السير يوستاس فيه بغصة «ترحل؟».

«عن ((ستاندفاست)). من خدمتك». وفكّر دانك: *لقد كذبت علينا. سمها ما تشاء، لم يكن هنالك شرف في ذلك*. وخلع عباءته ولفها ثم وضعها في حجر الرجل العجوز. وضيق أوزجري عيناه «هل عرضت عليك تلك المرأة الخدمة عندها؟ هل تتركني لأجل فراش تلك العاهرة؟». وقال دانك «لا أعلم إن كانت عاهرة، أو إن كانت ساحرة أو مسممة أو أيًا من هذا. لكن لا يهم إن كانت أيًا من ذلك. لأننا سنغادر للتجول وليس إلى ((كولدموت))».

«تقصد للتشرد. تتركني اكي تجوس الغابات كالذئاب، لكي تتربص للرجال البسطاء على الطريق». كانت يداه ترتجفان. وسقط الكأس من يديه، وانسكب النبيذ منه وهو يتدحرج على الأرض «اذهب إذًا، اذهب. لا أريد شيئًا منك. لم يجدر بي أن أقبلك في خدمتي. اذهب!».

«كما تأمر يا سيدي». وأشار دانك بيده ولحقه ايغ.

في تلك الليلة الأخيرة أراد دانك أن يكون أبعد ما يمكنه أن يكون عن يوستاس أوزجري، لذا فقد ناموا في القبو بين جيش ((ستاندفاست)) الضئيل. كانت ليلة غير مريحة.كان كل من ليم وبايت ذو العين الحمراء يشخران، الأول بصوت عالٍ والآخر بلا انقطاع. وملأت الأبخرة شديدة الرطوبة القبو، تتصاعد عبر فتحة التهوية من الأقبية التحتية في الأسفل. تقلب دانك وتململ في فراشه الخشن، وغط في النوم جزئيًا حتى استيقظ فجأة في الظلام. كانت القرصات التي تعرض لها في الغابة تستحكه وبشدة، وكان هنالك براغيث في القش كذلك. وفكّر دانك: *سأتخلص من هذا المكان، وسأتخلص من الرجل العجوز، والسير بينيس، وبقيتهم*. ربما حان

الوقت لكي يأخذ ايغ إلى (قلعة الصيف) ليرى والده. سيسأل الصبي عن ذلك في الصباح، حين يبتعدون بما فيه كفاية.

لكن الصباح بدا بعيدًا. كان رأس دانك قد ملئ بالتنانين، الحمر والسود...مليء بالأسود المربعة، والتروس القديمة، والأحذية البالية...مليء بالأنهار والخنادق المائية والسدود، والأوراق المختومة بختم الملك الجميل والتي لم يستطع قراءتها.

وهي كانت في رأسه أيضا، الأرملة الحمراء، روهان من ((كولدموت)). كان يستطيع أن يرى وجهها المنمش، وذراعيها الرفيعتين، وضفيرتها الحمراء الطويلة. جعله الأمر يشعر بالذنب. وفكّر دانك: *يجب أن أحلم بتانسيل. تانسيل الطويلة جدًا، هذا ما كانوا ينادونها به، لكنها لم تكن طويلة جدًّا بالنسبة لي*. هي من رسمت له شعاره على ترسه وهو أنقذها من الأمير الساطع، لكنها اختفت حتى قبل محاكمة السبع. وكان دانك يقول لنفسه في معظم الأوقات: *لم تكن لتتحمل أن تراني أموت*، لكن ما الذي يعرفه؟ كان بليدًا كجدار قلعة. مجرد تفكيره بالأرملة الحمراء أثبت هذا. وفكّر دانك: *تانسيل ابتسمت لي، لكننا لم نمسك ببعضنا قط، لم نقبل بعضنا قط، ولا حتى قبلة على الخد*. كانت روهان قد لمسته على الأقل، ولديه الشفة المتورمة لتثبت ذلك. وفكّر: *لا تكن أحمقًا، هي ليست لأمثالك. فهي صغيرة جدًا، وذكية جدًا، وخطيرة جدًا*.

وفي النهاية غلبه النعاس، وحلم. كان يركض في العراء في وسط (غابة وات)، يركض باتجاه روهان، وكانت تطلق عليه الأسهم. كل سهم أطلقته أصابه، واخترقه في صدره، وعلى الرغم من هذا كان الألم حلوًا بشكل غريب. كان يجب عليه أن يغير مساره ويهرب، لكنه ركض ناحيتها بدلًا من ذلك، ركض ببطء كما يركض المرء دائما في أحلامه، وكأنما تحول الهواء نفسه إلى عسل. سهم آخر صوب نحوه، وآخر أيضًا. بدت جعبتها وكأن بها عددًا لا ينتهي من الأسهم. عيناها كانتا باللون الرمادي والأخضر ومليئان بالشر. كان يريد أن يقول لها: *فستانك يبرز جمال عينيك*، لكنها لم تكن ترتدي فستانًا، أو أي ثيابٍ على الإطلاق. وكان على ثدييها الصغيرين لمسةٌ من النمش الخفيف، وكانت حلمتاها حمراوين وصلبتين كحبات توت صغيرة. جعلته

السهام المغروسة في جسده يبدو كنيّصٍ ضخم عندما هوى متعثرًا عند قدميها، ولكن على الرغم من هذا كانت لاتزال لديه القوة لكي يمسك بضفيرتها. وبحركة واحدة قوية جرها إلى أسفلٍ ووضعها فوقه وقبلها.



واستيقظ فجأة على صوت صرخة.

كان كل شيء مشوشًا في القبو المظلم. وترددت الشتائم والشكاوى كالصدى ذهابًا وإيابًا، وكان الرجال يتعثرون واحدًا فوق الآخر وهم يتحسسون حرابهم وسراويلهم. لم يعرف أحد ما الذي كان يجري. وجد ايغ شمعة دهنية فأشعلها، لكي يقع بعض الضوء على المكان. كان دانك أول من صعد الدرج. وكان على وشك أن يصطدم بسام الأحدب عندما كان ينزل مسرعًا

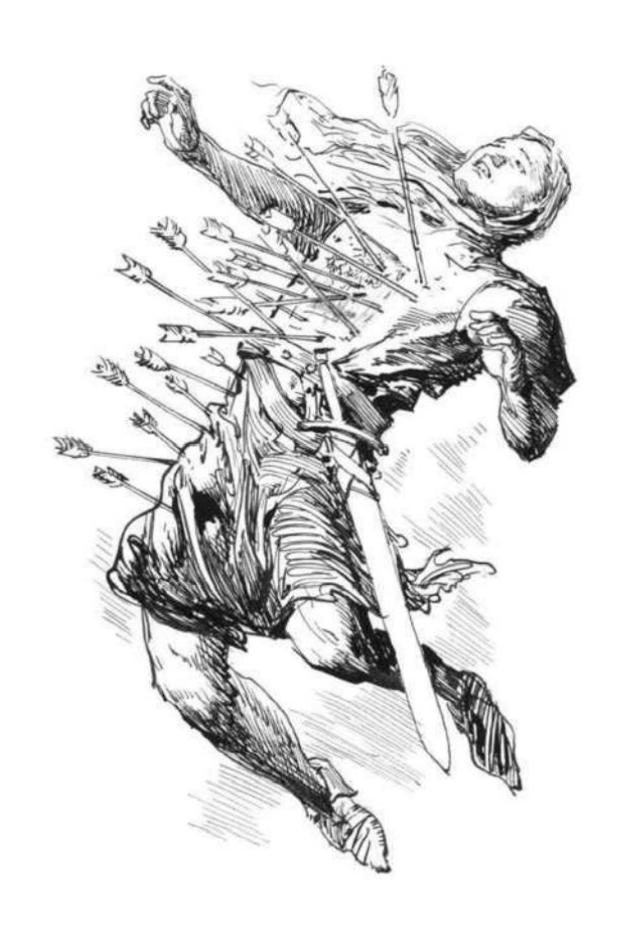
إلى أسفل، ينفث كالمنفاخ ويهذر بكلام غير مفهوم. اضطر دانك أن يمسكه من كلا كتفيه لكيلا يسقط «سام، ما المشكلة؟».

وقال الرجل العجوز بذعر «السماء، السماء!». لا يمكن فهم أي شيء مما يقوله، لذا صعدوا جميعهم للسطح لكي يلقوا نظرة. كان السير يوستاس قد سبقهم واقفًا عند الحواجز مرتديًا ثياب نومه، يحدق في المساحات التي أمامه.

كانت الشمس مشرقة في الغرب.

مرت برهة طويلة من الوقت قبل أن يستوعب دانك ما الذي يعنيه هذا. وقال بصوت خافت «(غابة وات) تحترق». ومن أسفل قاعدة البرج أتى صوت شتائم بينيس، سيل من القاذورات الفاضحة التي قد تجعل ايغون الغير جدير بنفسه يحمر خجلًا. وبدأ سام الأحدب بالصلاة.

كانت فكرة إشعالهم للنيران بعيدة كل البعد، لكن التوهج الأحمر ابتلع نصف الأفق الغربي، ومن أعلى هذا التوهج اختفت النجوم في السماء. كان (تاج الملك) قد اختفى نصفه بالفعل، مخفيًا وراء حجاب من الدخان المتصاعد. هذا ما قالته: *بالنار والسيف*.



اندلعت النيران طوال الليل. لم ينم أحد في ((ستاندفاست)) في تلك الليلة. ولم يمض وقت طويل حتى استطاعوا أن يشموا رائحة الدخان ويروا اللهب يتراقص أمامهم كفتيات في تنانير قرمزية. تسائلوا جميعًا إذا ما كانت النيران ستلتهمهم. وقف دانك خلف الحواجز، وعيناه تحرقانه وهو يرقب أي راكب في الليل. وقال عندما ظهر الفارس البني وهو يمضغ التبغ المر «بينيس، إنه أنت من ترغب به. ربما يجب عليك الذهاب».

ونهق قائلًا «ماذا؟ أركض؟ على حصاني؟ وربما يجب أن أجرب أن أطير على متن إحدى هذه الدجاجات».

«إذًا سلم نفسك. ستقطع أنفك فقط».

«يعجبني أنفي كما هو أيها الأخرق. فلتجرب ولتأخذني، سنرى ما الذي سيُشَقُّ مفتوحًا حينها». وجلس متقاطع الساقين وسند ظهره على إحدى الدعامات وأخذ مشحذه من جعبته ليشحذ بها سيفه. وقف السير يوستاس فوقه. وبأصوات خفيضة، تحدثوا عن طريقة تمكنهم من القتال في هذه الحرب، وسمع دانك الفارس العجوز وهو يقول «سيتوقع الإنش الطويل قدومنا عند السد، ولذا سنحرق نحن محاصيلها عوضًا عن ذلك. النار بالنار». ظن السير بينيس أن هذا هو الحل، غير أنه يجب عليه أن يحرق الطاحونة أيضا «إنها على بعد ستة فراسخ من الجانب الأخر من القلعة، لن يبحث الإنش الطويل عنا هنالك. أحرق الطاحونة وأقتل الطحَان، سيكلفها هذا الكثير».

كان ايغ يستمع أيضًا. وسعل ونظر إلى دانك بعينين واسعتين شاحبتين «سيدي، يجب عليك أن توقفهم».

وسأله دانك «كيف؟». وفكّر: *الأرملة الحمراء ستوقفهم*. هي ولوكاس الإنش الطويل ذاك «هم فقط يصنعون جلبة يا ايغ. هذا كل ما في الأمر، إما هذا أو أن يتبولوا في سراويلهم. وليس لنا شأن في هذا الآن».

أتى الفجر بسماء رمادية ضبابية وهواء يحرق العينين. كانت نية دانك أن يبدأ يومه باكرًا، لكن بعد ليلتهم الخالية من النوم تلك لم يعلم كم سيستطيعون الإبعاد. كسر هو وايغ كسروا صيامهم ببيض مسلوق بينما كان السير بينيس يهلك الآخرين بالمزيد من التدريبات. وقال لنفسه: *هم رجال أوزجري ونحن لسنا كذلك*. أكل أربعة من البيض. وبهذا القدر كان السير يوستاس يدين له كما رأى. أكل ايغ اثنتين. وتجرعا بعض النبيذ للبلع.

قال الصبي بينما كانا يجمعان أغراضهما «نستطيع أن نذهب لـ(جزيرة الحسناء) يا سيدي، إذا كانت قد تمت الإغارة عليهم من قبل الحديدين، فقد يكون اللورد فارمان يبحث عن سيوف».

كانت فكرة جيدة «هل زرت (جزيرة الحسناء) من قبل؟».

وقال ايغ «كلا يا سيدي، لكنهم يقولون بأنها حسناء. ومقر اللورد فارمان حسن أيضا. يسمونها (القلعة الحسناء)».

وضحك دانك «إذًا فوجهتنا إلى القلعة الحسناء». شعر وكأن حملًا ثقيلًا أزيح من على كتفيه، وقال حينما ربط درعه في حزمة مثبتًا إياه بحبل من القنب «سأجهز الأحصنة، اذهب للعلية وأحضر فراشنا أيها المرافق». آخر ما كان يرغب فيه في هذا الصباح هو محادثة أخرى مع الأسد المربع «إذا رأيت السير يوستاس فاتركه وشأنه».

«سأفعل يا سيدي».



في الخارج، وضع بينيس مجنديه في صف وهم يحملون رماحهم وتروسهم محاولًا تعليمهم الانسجام أكثر. لم يُعِر الفارس البني دانك أدنى انتباه حين عبر الساحة. وفكّر دانك: *سيقودهم جميعًا إلى موتهم*. ستكون الأرملة الحمراء هنا في أي لحظة. خرج ايغ مندفعًا من باب البرج محدثًا جلبة وهو ينزل من الدرج الخشبي حاملًا فراشهم. وفوقهم وقف السير يوستاس

بجفاءٍ على الشرفة، واضعا يديه على السور. حين التقت عيناه بعيني دانك ارتعش شاربه وأشاح بنظرة بسرعة. كان الهواء ضبابيًا مع دخان متصاعد.

كان ترس بينيس متدليًا على ظهره، ترسٌ رباعي الأضلاع وطويل من الخشب غير المطلي، داكن مع طبقات لا حصر لها من الطلاء القديم ومربوط بالحديد. لم يكن مزينًا إلا بدائرة في المنتصف يخترقها شريط عريض مما ذكر دانك بعين كبيرة مغلقة تماما. وفكّر دانك: *إنه أعمى مثلها* . وسأله دانك «كيف تنوي أن تقاتلها؟».

نظر السير بينيس إلى جنوده، وفمه محمر مليء بالتبغ المر «لا يمكننا أن نسيطر على التل بحراب قليلة جدًا. البرج هو الحل. سنختبئ جميعنا في الداخل». وأشار إلى الباب «هنالك مدخل واحد فقط. اسحب السلم الخشبي ولن يكون لهم طريقة للوصول إلينا».

«حتى يبنوا سلمًا بأنفسهم. وقد يحضرون حبالًا وخطافات أيضا، وينهالوا عليكم من الأعلى. إلا أذا اكتفوا بأقواسهم وأمطروكم بسهامهم بينما تحاولون أنتم إبقاء الباب مغلقًا». كانت كل من فرقة البطيخات، وفرقة الفاصولياء وفرقة حبات الشعير يستمعون لكل ما يقال. كان كل كلامهم الشجاع قد طار في الهواء على الرغم من أن الريح غائبه. ووقفوا ممسكين بحرابهم المسنونة، ينظرون إلى دانك وبينيس وإلى بعضهم البعض.

قال دانك وهو يشير إلى جيش أوزجراي رث الهيئة «هذا الجمع لن يفيدك ولو بمقدار ذرة، فرسان الأرملة الحمراء سيقطعونهم إلى أشلاء إذا تركتهم في العراء، وحرابهم لا نفع لها داخل ذلك البرج». وقال بينيس «يستطيعون أن يرموا أشياءً من الأعلى. تريب ماهر في رمي الأحجار». وقال دانك «قد يرمي حجرًا أو اثنين على ما أعتقد، حتى يغرس فيه أحد فرسان الأرملة الحمراء سهمًا». ووقف ايغ بجانبه «سيدي؟ سيدي، إذا كنا ننوي الذهاب فعلينا التحرك الآن، في حال جاءت الأرملة». كان الصبي محقًا. وفكر دانك: *إذا تأخرنا فسنعلق هنا* . وعلى الرغم من هذا فقد تردد دانك «دعهم يذهبون يا بينيس».

«ماذا؟ أخسر فتياننا الشجعان؟». نظر بينيس إلى الفلاحين وضحك بصخب، وحذرهم «إياكم أن تفكروا بشيء من هذا القبيل. سأقبض على أي رجل يحاول الهرب».

«حاول، وسأبقر بطنك». واستلّ دانك سيفه، وقال للفلاحين «ارجعوا إلى بيوتكم جميعًا، ارجعوا إلى قراكم، وانظروا إذا ما التهمت النيران بيوتكم ومحاصيلكم».

لم يتحرك أحد. حدق الفارس البني فيه، وفمه يمضغ. وتجاهله دانك. وقال للفلاحين مجددًا «ارحلوا». وكأنما لقنه إلهٌ ما الكلام. وفكّر دانك: *ليس المحارب. هل هناك إله للحمقى؟* وقال مجددًا، مزمجرًا هذه المرة "ارحلوا!».



«خذوا حرابكم وتروسكم، ولكن ارحلوا، وإلا لن تعيشوا لتروا الغد. هل تريدون أن تقبلوا زوجاتكم مجددًا؟ هل تريدون أن تحملوا أطفالكم؟ ارحلوا لبيوتكم! هل صُمَّت آذانكم جميعًا؟».

لم تصم آذانهم. تدافعت الدجاجات بجنون بعد ذلك. وداس روب الكبير على إحدى الدجاجات بينما انطلق مندفعًا، وكان بايت على بعد نصف خطوة من أن يبقر بطن ويل الفاصولياء حينما تعثر بحربته، لكنهم رحلوا جريًا. أخذت جماعة البطيخات اتجاهًا وجماعة الفاصولياء اتجاهًا وجماعة حبات الشعير اتجاهًا آخرًا. كان السير يوستاس يصرخ عليهم من الأعلى، لكن لم يعره أحد اهتمامًا. وفكّر دانك: *لقد صمت أذانيهم عنه على الأقل*.

وفي الوقت الذي نزل فيه الفارس العجوز من برجه متعثرًا على السلم، لم يبقَ سوا دانك وايغ وبينيس بين الدجاجات، وصرخ السير يوستاس على ضيوفه سريعي الفرار «عودوا. لم تأخذوا أذني للرحيل. لم تأخذوا أذني!».

وقال بينيس «لا فائدة يا سيدي، لقد رحلوا».

التفت السير يوستاس نحو دانك، كان شاربه يرتجف من شدة الغضب «ليس لديك الحق بتسريحهم. ليس لديك الحق في ذلك! أخبرتهم أن لا يرحلوا، منعتهم. منعتك من صرفهم».

«لم نسمعك يا سيدي». وأخذ ايغ قبعته ليزيح الدخان «كان نقيق الدجاجات صاخبًا».



ونزل العجوز على آخر عتبة في (ستاندفاست)، وسأل دانك بصوت مكتئب «ما الذي عرضته عليك تلك المرأة كي تسلمني لها؟ كم أعطتك من الذهب لكي تخونني، لكي ترسل جنودي بعيدًا وتتركني وحيدا؟».

«أنت لست وحيدًا يا سيدي». وأغمد دانك سيفه «لقد نمت تحت سقفك وأكلت من بيضك هذا الصباح. لا زلت أدين لك ببعض الخدمة. لن أرحل داسًا ذيلي بين ساقيّ. وسيفي لايزال هنا». وأمسك بمقبض سيفه

ونهض الرجل العجوز ببطء على قدميه «سيف واحد فقط. ما الذي يستطيع سيف واحد فعله أمام تلك المرأة؟».

«يحاول إبعادها من على أرضك، كبداية». تمنى دانك أن يكون بالثقة التي يبدو عليها. كان شارب العجوز يرتجف كلما أخذ نفسًا، وقال أخيرًا «أجل، من الأفضل أن نمضي بشجاعة عوضًا عن الاختباء وراء الجدران الحجرية. من الأفضل أن أموت كأسدٍ شجاعٍ على أن أموت أرنبًا. لقد كنا حماةً

للتخوم الشمالية لآلاف السنين. يجب أن أجلب درعي». وبدأ بصعود الدرج.

كان ايغ ينظر رافعًا عينيه إلى دانك. وقال الصبي «لم أعلم أنك تملك ذيلًا يا سيدي».

«هل تريد صفعة على أذنك؟».

«كلا يا سيدي. هل تريد درعك؟».

قال دانك «أجل، وشيئًا إضافيًا أيضًا».

كانت هناك مناقشات حول مجيء السير بينيس معهم، لكن في النهاية أمره السير يوستاس بالبقاء لحراسة البرج. كان سيفه بلا فائدة تذكر أمام ما يمكن أن يواجهوه، وستزيد رؤيته من غضبة الأرملة أكثر.

لم يحتج الفارس البني للكثير من الإقناع. ساعده دانك في فك الأوتاد الحديدية التي تربط السلم العلوي في مكانه. تسلق بينيس السلم صاعدا وفك حبل القنب الرمادي القديم، وأمسك به بكل قوته. تأرجح السلم الخشبي صاعدا بصرير تاركًا مسافة عشرة أقدام من الفراغ بين العتبة الحجرية العلوية ومدخل البرج الوحيد. كان كلٌّ من سام الأحدب وزوجته في الداخل. ستضطر الدجاجات لإطعام نفسها. جالسا على حصانه المخصي والرمادي، صاح السير يوستاس ليقول «إذا لم نعد بعد حلول الليل...».

«...سأركب إلى (هايجاردن) يا سيدي، وسأخبر اللورد تايرل كيف أحرقت تلك المرأة غابتك وقتلتك».

لحق دانك بايغ و(مايستر) أسفل التل. ولحق الرجل العجوز بهما، وكان درعه يطقطق بخفوت. لوهلة كانت الريح تعصف وكان يستطيع سماع صوت عباءته ترفرف.

في المكان الذي كانت توجد فيه غابة وات، وجدوا أرضًا قاحلة يتصاعد منها الدخان. حين وصلوا للغابة كانت النيران قد التهمت نفسها بشكل كبير، ولكن كانت لا تزال بعض البقع كانت تحترق كجزر من النيران وسط بحر من الرماد والحمم. وفي الأماكن الأخرى تصاعدت بقايا جذوع الأشجار

المحترقة كالحراب السوداء إلى السماء. وسقطت أشجار أخرى عكس اتجاه الطريق الغربي بأطراف متفحمة ومكسورة، اشتعلت النيران بأحمر باهت داخل تجويفها الفارغ. كانت هنالك بقع ساخنة على أرض الغابة أيضًا، وأماكن يجول فيها الدخان في الهواء كسديم رمادي ساخن. أصيب السير يوستاس بنوبة سعال، وللحظات خشي دانك أن الرجل العجوز سيرغب بأن يعود، لكن في النهاية انتهت تلك النوبات.

مروا بجانب جثة أيل أحمر، وبعدها مروا بما يمكن أن يكون غريرًا. لم ينجُ شيءٌ على الإطلاق، ما عدا الذباب. يستطيع الذباب أن ينجو من أي شيء على ما يبدو. قال السير يوستاس «لابد أن حقل النار كان يبدوا هكذا، من هنالك بدأت مصائبنا، منذ مئتي عام. قُتل آخر الملوك الخضر في ذلك الحقل، مع خيرة ورود المرعى حوله. قال أبي أن نيران التنانين اشتعلت بشدة لدرجة أن سيوفهم ذابت في أيديهم. وبعدها تم جمع النصال وصنع منها العرش الحديدي. انتقلت هايجاردن من ملوك إلى وكلاء، وتضائلت مكانة آل أوزجري وتناقصت، إلى أن أصبح حماة التخوم الشمالية مجرد فرسان من ملاك الأراضي مقيدين بالولاء لآل روان».

لم يجد دانك ما يرد به على ذلك، لذا ركبوا في صمت لبعض الوقت، حتى سعل السير يوستاس وقال، «سير دانكن، هل تتذكر القصة التي أخبرتك بها؟».

وقال دانك «قد أذكرها يا سيدي، أي واحدة؟».

«الأسد الصغير».

«أتذكر. كان الأصغر من أصل خمسة أبناء».

«جيد». وسعل مجددًا «حينما قتل لانسل لانستر، عاد الرجال الغربيون. ومن غير الملك لم يكن هنالك حرب. أتفهم ما أقصد؟».

وقال دانك مجبرًا «أجل». وفكّر: *هل أستطيع قتل أمرأة؟* لوهلة تمنى دانك بأنه بليد كجدار قلعة. وفكّر دانك: *لا يجب أن يصل الأمر لذلك. يجب ألا أجعل الأمر يصل إلى ذلك.*

لاتزال بعض الأشجار الخضراء قائمة حيث تقاطعت المياه المربعة مع الطريق الغربي، واسودت جذوع هذه الأشجار وتفحمت على جانب واحد منها فقط. وخلفها تماما لمعت المياه بظلمة. وفكّر دانك: *أزرق وأخضر، ولكن اختفى كل الذهبي*. وحجب الدخان الشمس.

توقف السير يوستاس على حافة المياه «لقد أخذت يمينًا مقدسًا. لن أعبر الجدول. لن أعبره طالما كانت الأرض خلفه ملكًا لها" ارتدى الرجل العجوز درعا وصفائح تحت معطفه الأصفر. كان سيفه على وركه.

سأل ايغ «وماذا إذا لم تأت قط يا سيدي؟». وفكّر دانك: *بالنار والسيف* «ستأتي».

وقد أتت، وبنفس الساعة. سمعوا صوت أحصنتها أولًا، وبعدها صوت معدني خافت لطقطقة دروعهم، وكان الصوت يرتفع. وجعل الدخان المنجرف الأمر صعبًا لتحديد بعدهم عنهم، حتى اخترق حامل رايتها الستار الرمادي الممزق. كانت عصى الراية متوجة بعنكبوت معدني مصبوغ بالأبيض والأحمر، مع راية آل ويبر السوداء المعلقة بثباتٍ تحتها. حين رآهم يعبرون المياه وقف على الضفة. ظهر السير لوكاس بعدها بنصف وهلة مدرعًا من رأسه حتى أخمص قدميه.



فقط حينها ظهرت الليدي روهان بنفسها، على ظهر فرس أسود فاحم مزين بخيوط من الحرير الفضي، مثل شبكة العنكبوت. كانت عباءة الأرملة مزينة بنفس النسيج. تطايرت عباءتها من على كتفيها ومعصميها وكأنها بخفة الهواء. كانت مرتديةً درعها أيضًا، ببدلة من قشور المينا الخضراء المنقوش عليها بالفضة والذهب. ناسب الزي مظهرها وكأنه قفاز لبسته، وجعلها تبدو وكأنها مغطاة بأوراق الصيف. تدلت ضفيرتها الحمراء الطويلة خلفها متأرجحة كلما تحركت. ركب السبتون سيفتون بجانبها على حصان رمادي كبير مخصي وهو محمر الوجه. وعلى الجانب الآخر، كان مايسترها اليافع سيريك راكبًا على بغل.

أتى المزيد من الفرسان بعدهم، نصف دستة منهم، ورافقهم العدد نفسه من المرافقين. واصطف صفٌّ من الرماة ممتطين الخيول في مؤخرة الجيش، وانتشروا على جانبي الطريق حين وصلوا إلى المياه المربعة ورأوا

دانك في انتظارهم على الجانب الآخر. كان مجموعهم جميعًا ثلاث وثلاثون محاربًا بلا استثناء. من غير السپتون والمايستر والأرملة نفسها. لفت أحد الفرسان انتباه دانك، كان رجلًا أصلعًا وقصيرًا وعريضً كبرميل، يرتدي درعًا وجلدًا، ووجهه غاضب ولديه ورم قبيح على رقبته.

اقتربت الأرملة الحمراء بفرسها إلى حافة الماء. نادت من وراء الجدول «سير يوستاس، سير دانكن، لقد رأينا نيرانكم تلتهب في الليل».

وصرخ السير يوستاس ردًا عليها «رأيتم؟ أجل لقد رأيتموها بعدما أشعلتموها».

«هذا اتهام دنيء».

«لفعلة دنيئة».

«لقد كنت نائمة في فراشي الليلة الماضية، ورفيقاتي كلهن حولي. ولكن أيقظني صوت الصراخ وراء الجدران، كما أيقظ الجميع على الأرجح. صعد الرجال المسنون درجات البرج الوعرة ليتفقدوا ما يجري، ورأى الأطفال الأضواء الحمراء وهم يرضعون أثداء أمهاتهم وبكوا خوفًا. وهذا كل ما أعلمه عن نيرانك يا سيدي».

وأصر السير يوستاس «إنها نيرانك أنت يا امرأة. غابتي احترقت. أقول لك احترقت!».



تنحنح السپتون سيفتون وجهر بصوته «سير يوستاس. هنالك نيران في غابة الملوك أيضا، وحتى في الغابة المطيرة. لقد أجج الجفاف اشتعال جميع غاباتنا».

رفعت الليدي روهان ذراعها وأشارت «انظر إلى حقولي يا أوزجري. كم هي جافة. كنت لأكون حمقاء لو أنني أشعل نارًا. لو أن الرياح غيرت اتجاهها لعبرت السنة اللهب الجدول وحرقت نصف محاصيلي».

وصرخ السير يوستاس «لو أن؟ غاباتي هي من احترقت، وأنت من أحرقتها. وعلى الأغلب أنك ألقيت بعضًا من التعاويذ السحرية لتهب الرياح، مثلما استخدمت سحرك الأسود لتقتلي أزواجك وإخوانك!».

تجهم وجه الليدي روهان أكثر. كان دانك قد رأى تلك النظرة في ((كولدموت))، قبل أن تصفعه. وقالت للرجل العجوز «كلام فارغ، لن أهدر المزيد من الكلام معك يا سيدي. قدم لي بينيس من الترس البني وإلا سنأتي ونأخذه».

وأوضح السير يوستاس بنبرة رنانة «هذا ما لن تفعلوه. هذا ما لن تفعلوه أبدًا». وارتعش شاربه «إياك وأن تتقدمي أكثر من ذلك. هذا الجانب من الجدول لي، وليس مرغوبًا بك هنا. لن تحصلي على ضيافة مني. لا خبز ولا ملح، ولا ظل ولا ماء حتى. وإذا دخلتِ فستدخلين كمعتدية. أنا أمنعك من أن تضعي قدمًا على أراضي أوزجري».

حذفت الليدي روهان ضفيرتها وراء ظهرها «سير لوكاس». كان هذا كل ما قالته. وقام الإنش الطويل بإيماءة، وترجل الرماة من أحصنتهم ورفعوا أوتارهم بمساعدة خطاطيفهم وركابهم، وانتزعوا أسهمهم من جعبهم، ونادت الليدي عندما أصبح كل قوسٍ ملقمًا ومرفوعًا وجاهزًا «والآن أخبرني يا سيدي، ما كان الذي منعتني عنه؟».

كان دانك قد سمع بما فيه الكفاية «إذا عبرتي النهر بلا تصريح، فأنت تكسرين سلام الملك».

تقدم السپتون ستيفون بحصانه خطوة للأمام. وقال له «لن يعرف الملك عن هذا ولن يهتم، كلنا أبناء الأم يا سيدي. تنح جانبا من أجل خاطرها».

وعبس دانك بوجهه «لا أعرف الكثير عن الآلهة أيها السپتون... ولكن ألسنا كلنا أبناء المحارب أيضًا؟». وحك مؤخرة رقبته «إن حاولتم العبور، فسأوقفكم».

وضحك السير لوكاس الإنش الطويل، وقال للأرملة الحمراء «إنه فارس متجول يتوق إلى أن يصبح قنفذًا يا سيدتي، أنطقي بالكلمة فقط وسنغرس فيه دستة من السهام. ومن على هذا البعد ستنغرس السهام في درعه وكأنه مصنوع من الثلج الهش».

«كلا، ليس بعد يا سيدي». وتفحصته الليدي روهان من خلف الجدول «أنتما رجلان وصبي ونحن ثلاثة وثلاثون، كيف تنوي أن تمنعنا من العبور؟».

وقال دانك «حسنًا، سأخبرك. ولكن أنت فقط».

«كما ترغب». ضغطت بكعبيها على حصانها وتقدمت بها إلى الجدول. وعندما وصلت المياه إلى بطن الفرس، وقفت منتظرة «ها أنا ذا، اقترب يا سيدي. أقسم أنني لن أضعك في كيس وأخيطه».

أمسك السير يوستاس بذراع دانك قبل أن يستطيع أن يجيب. وقال الفارس العجوز «اذهب لها، ولكن تذكر الأسد الصغير».

«كما تقول يا سيدي». قاد دانك (رعد) إلى المياه. ووقف بجانبها، وقال، «سيدتي».

رفعت يدها ووضعت اثنان من أصابعها على شفته المتورمة «سير دانكن، هل كنت أنا الفاعلة يا سيدي؟».

«لم يصفع وجهي أحدٌ غيرك منذ مدة يا سيدتي».



«لقد كان صنيعًا سيئًا مني. وخرقًا للضيافة. كان السپتون الطيب يوبخني على هذا». وحدقت بالسير يوستاس على الجانب الأخر من الجدول «نادرًا ما أتذكر آدام بعد الآن. لقد كان الأمر قبل أكثر من نصف عمري هذا. لكني أتذكر أنني أحببته. ولم أحبب أيًا من الآخرين».

وقال دانك «وضعه والده عند التوت الأسود مع إخوته، لقد كان مغرمًا بالتوت الأسود».

«أذكر ذلك. لقد كان يقطفه من أجلي، وكنا نأكله في وعاء من القشدة».

وقال دانك «لقد عفا الملك عن الرجل العجوز لوقوفه مع ديمون، ولقد حان الوقت لكي تسامحيه على آدام».

«أعطني بينيس وسأضع هذا في عين الاعتبار».

«بينيس ليس ملكي لأعطيه لك».

وتنهدت «سأكون سعيدة إذا لم أضطر لقتلك».

«سأكون سعيدًا إذا لم أمت».

«إذًا أعطني بينيس. سنقطع أنفه ونرجعه وستكون هذه نهاية المسألة».

وقال دانك «إلا أنها لن تكون، لا يزال هنالك السد كي نحل مشكلته، والنار. هل ستعطينا الرجل الذي أشعلها؟».

وقالت «كان هنالك بعوض الفوانيس في الغابة، قد تكون هي من أشعلت النيران، بفوانيسها الصغيرة».

وحذرها دانك «يكفيك محاولة إغاظتي الآن يا سيدتي. فهذا ليس الوقت المناسب لذلك. اهدمي السد ودعي السير يوستاس يحصل على الماء ليعوض عما حدث للغابة. هذا عادل، أليس كذلك؟».

«قد يكون عادلًا إذا كنت أنا من أحرقت الغابة. إلا أني لم أفعل. لقد كنت في ((كولدموت))، نائمة على فراشي بأمان». ونظرت إلى الماء أسفلها «ما الذي يمنعنا من عبور الجدول مباشرة؟ هل نثرتم كرات شائكة بين

الصخور؟ أو رماة مختبئين بين الرماد؟ أخبرني، ما الذي تظنه قادرًا على إيقافنا».

«أنا». ونزع أحد قفازيه «في جحر البراغيث كنت دائمًا أكبر وأقوى من الفتية الآخرين، ولذلك كنت أضربهم بدموية وأسرق منهم. علمني الرجل العجوز ألا أفعل ذلك. قال لي بأنه شيءٌ خاطئ، وبالإضافة إلى ذلك، فأحيانًا يكون لدى الفتية الصغار إخوة أكبر. تفضلي، ألقِ نظرة على هذا». ونزع دانك الخاتم من إصبعه وأعطاه لها. وكان يجب عليها أن تترك ضفيرتها لكي تمسك به.

وسألته حين استشعرت ثقله «ذهب؟ ما هذا يا سيدي؟». وقلبته في يدها «خاتم، من الذهب والعقيق». وضيقت عيناها الخضراوين وهي تفحص الختم الذي عليه «أين وجدت هذا يا سيدي؟».

«في حذاء. ملفوف بخرقة ومدسوس في الأصبع الكبير». وقبضت أصابع الليدي روهان عليه. ورمقت ايغ والسير يوستاس «لقد قمت بمخاطرة كبير لإظهارك هذا الخاتم لي يا سيدي. ولكن ما الذي سيفيدنا به هذا؟ إذا أمرت رجالي بعبور...».



وقال دانك «حسنًا، سيعني هذا أن علي أن أقاتل».

«وتموت».

وقال لها «على ما يبدو، وسيرجع ايغ إلى حيث ينتمي، ويخبرهم بما حدث هنا».

«ليس إذا مات هو أيضًا».

وقال متمنيًا أنه على حق «لا أعتقد أنك ستقتلين فتى في العاشرة من عمره. ليس هذا الصبي ذو العشر سنوات، لن تفعلي. لديك ثلاثة وثلاثون رجلًا هنا كما قلتي. والرجال يتكلمون. خصوصًا ذلك السمين هنالك. ولن يهم كم عمق القبور التي ستحفرينها، وستنتشر الحكاية. وحينها، حسنًا...قد تستطيع عظة عنكبوت مرقط أن تقتل عظة أسدًا، ولكن التنين نوع مختلف من الوحوش».

«أفضل أن أصبح صديقة للتنين إذًا». وجربت الخاتم على إصبعها. كان كبيرًا جدًا حتى على إبهامها «تنينًا كان أم غيره، يجب أن أحصل على بينيس من الترس البني».

«كلا».

«أنت سبعة أقدام من العناد».

«بل أقل بإنش».

وأرجعت الختم له «لا أستطيع الرجوع إلى ((كولدموت)) خالية اليدين. سيقولون أن الأرملة الحمراء فقدت عضتها، وأنها كانت ضعيفة جدًا على أن تحقق العدالة، وأنها لم تستطع أن تحمي عامتها. أنت لا تفهم يا سيدي».

«بل قد أكون». وفكّر دانك: *أكثر مما تتصورين* «أتذكر مرة أن أحد اللوردات الصغار قبل السير آرلان في خدمته، ليساعده في محاربة لورد صغير آخر. وعندما سألت الرجل العجوز عما كانا يتقاتلان من أجله، قال لي "لا شيء أيها الصبي، إنها مجرد مسابقة تبول"».

أعطته الليدي روهان نظرة مصدومة، لكنها لم تلبث على وجهها فترة وجيزة حتى انقلبت إلى ابتسامة «لقد سمعت ألفًا من المجاملات الفارغة في حياتي، ولكنك أول فارس يقول كلمة تبول في حضوري». وأصبح وجهها المنمش قاتمًا أكثر «مسابقات التبول هذه هي المعيار الذي يحكم فيه اللوردات على قوة بعضهم من خلاله، وويلٌ لمن يظهر ضعفه فيها. وعلى المرأة أن تتبول أقوى بمرتين إذا ما كانت تنوي أن تحكم. وإذا ما حدث وكانت تلك المرأة ضعيفة... اللورد ستاكهاوس يطمع في (تلال حدوة الحصان)، والسير كليفورد كونكلين لديه مطالبات قديمة حول البحيرة المورقة، وهؤلاء آل دورويل البائسون يعيشون على سرقة الماشية... وتحت سقفي الخاص يوجد الإنش الطويل. كل يوم حين أستيقظ صباحًا أتسائل إذا ما كان هذا هو اليوم الذي يتزوجني فيه غصبًا». كانت يداها ملتفة حول ضفيرتها بشدة، وكأنها بحبل تمسك به وهي تتأرجح على حافة هاوية «هو يريد ذلك، أعرف. والشيء الوحيد الذي يردعه هو الخوف من غضبي، كحال كونكلاين وستاكهاوس ودورويل، يخطون بحذر عندما تقلقهم الأرملة الحمراء. إذا شعر أي منهم ولو للحظة أني أصبحت ضعيفة وهشة...».

أعاد دانك الخاتم في إصبعه، واستلّ خنجره.

اتسعت عينا الأرملة لمرأى النصل، وقالت له «ماذا تفعل؟ هل فقدت عقلك؟ هنالك دستة من الأسهم موجهة عليك».

«لقد أردتِ الدم مقابل الدم». ووضع الخنجر على خده «لم يخبروك بالحقيقة. لم يكن بينيس هو من جرح ذلك الحفار، بل كنت أنا». وضغط بحافة النصل على خده، وجرحه نازلًا على الخد. وحين نفض الدم من على النصل، تناثر بعضه على وجهها. وفكّر دانك: *المزيد من النمش* «تفضلي، حصلت الأرملة الحمراء على دينها. خد مقابل خد».

ملأ الدخان عينيها بالدموع «لابد أنك مجنون. لو كنت من نسب أفضل لتزوجتك».

«صحيح يا سيدتي. ولو أن للخنازير أجنحة وحراشف وكانت تنفث النيران، لكانت عظيمة كالتنانين». وأرجع دانك سكينه في غمده. وبدأ وجهه ينبض. نزف الدم أسفل خده وتقاطر على واقي عنقه. وجعلت الرائحة (رعد) يزفر ويرفس الماء «فلتعطيني الرجل الذي أحرق الغابة». وقالت له «لم يحرق الغابة أحد، ولكن إن كان من فعلها أحد رجالي، فقد فعلها من أجل أن يُسعدَني. كيف لي أن أعطيك رجلًا كهذا؟». ونظرت مجددًا إلى موكبها «سيكون من الأفضل لو أن السير يوستاس كان منصفًا وسحب اتهاماته».

«ستنفخ هذه الخنازير نارًا قبل أن يفعل ذلك يا سيدتي».

«في هذه الحالة، سيتوجب على أن أثبت براءتي أمام أعين الآلهة والبشر. أخبر السير يوستاس أني أطالبه باعتذار.. أو محاكمة، الخيار له». واستدارت بحصانها عائدة إلى رجالها.

سيكون المجرى ساحة قتالهما. ترنح السپتون ستيفون وبدأ يتلو صلاته، متوسلًا الأب في الأعالي أن يلتفت إلى هذين الرجلين وأن يحكم عليهما بالعدل، وطالبًا من المحارب أن يمنح قوته للرجل ذو القضية العادلة والصادقة، ومترجيًا من الأم رحمتها للكاذب، وأن تغفر له خطاياه. وحين قضوا صلاتهم وانتهوا منها، التفت مرة أخيرة إلى السير يوستاس أوزجري وقال له «سيدي، أتوسل إليك مرة أخرى، اسحب اتهاماتك».

وقال الرجل العجوز «لن أفعل». واهتز شاربه.

التفت السپتون السمين إلى الليدي روهان «يا زوجة أخي، إذا كنت أنت الفاعلة، فاعترفي بذنبك، وعوضي السير يوستاس العزيز عن غابته. وإلا فلابد أن يراق الدم».

«نصيري سيثبت براءتي أمام أعين الآلهة والبشر».

وقال السپتون مغمورًا في الماء حتى خصره «المحاكمة بالنزال ليست الخيار الوحيد، فلنذهب إلى (البستان الذهبي)، أناشدكما معًا، ولنضع المسألة أمام اللورد روان ليحكم فيها».

وقال السير يوستاس «أبدًا». وهزت الأرملة الحمراء رأسها.

نظر السير لوكاس إنشفيلد إلى الليدي روهان بوجه داكن من الغضب «سوف تتزوجينني حين تنتهي هذه المسرحية الهزلية. كما رغب اللورد والدك».

وردت عليه «لم يعرفك اللورد والدي كما أعرفك أنا». نزل دانك على ركبة واحدة بجانب ايغ ووضع الخاتم في يد الصبي. أربع تنانين ثلاثية الرؤوس، اثنان وثنان، شعار مايكار أمير (قلعة الصيف). وقال له «أعده إلى الحذاء، ولكن إن حدث ومت، اذهب إلى أقرب أصدقاء والدك واطلب منه أن يعيدك إلى (قلعة الصيف). لا تحاول أن تعبر المرعى كله لوحدك. لا تنسى هذا. وإلا سيلحق بك شبحي ليضربك على أذنك».

وقال ايغ «حسنًا يا سيدي، ولكن من الأفضل ألا تموت».

«الجو حارٌّ جدًا على أن أموت». ارتدى دانك خوذته وساعده ايغ على ربطها بواقي عنقه جيدًا. ولكن الدم كان لا يزال دبقًا على وجهه، فاضطر السير يوستاس لشق قطعة من عباءته ليساعد في وقف نزيف الجرح. نهض واتجه إلى (رعد). ورأى عندما وثب على سرجه أن معظم الدخان قد زال، ولكن السماء كانت لا تزال معتمة. وفكّر دانك: *غيوم، غيوم سوداء*. لقد مر وقت طويل. وفكّر: *قد يكون هذا فألا. لكن هل هو فأله أم فألي*؟ لم يكن دانك جيدًا بالتنبؤات.



على الجانب الآخر من المجرى امتطى السير لوكاس حصانه أيضًا. كان حصانه كستنائيًا، حيوان رائع وسريع وقوي، ولكنه لم يكن بحجم (رعد). إلا أن كل ما ينقص الحصان من حجم عوضه بدرعه، كان يرتدي واقيًا حديديةً للوجه وللعنق ومعطفًا من السلاسل الخفيفة. كان الإنش الطويل نفسه يرتدي صفائح معدنية سوداء ومصقولة، وحلقات معدنية فضيةً. وعلى خوذته عنكبوت مقرفص مصنوعٌ من العقيق، ولكن كان على ترسه رمزه الخاص: منحنى مائل يسارًا وملون بمربعات بيضاء وسوداء على خلفية رمادية شاحبة. شاهده دانك يسلم درعه إلى مرافق ما. وفكّر: *إنه لا ينوي أن يستخدمه*، وحين أعطاه مرافق آخر بلطة حربية أدرك دانك السبب. كانت البلطة طويلة وفتاكة، بمقبض مسطح ورأس ثقيل، ونتوء مسماري هائل في الخلف، لكنه كان سلاحًا ذو حدين. سيجب على الإنش الطويل أن يثق بدرعه لحمايته. وفكّر دانك: *أحتاج لأن أجعله يندم على هذا الخيار*.

أما دانك فترسه كان على ذراعه اليسرى، الترس الذي رسمت عليه تانسيل شجرة الدردار والنجم الساقط. ورنّت ترنيمة الحماية القديمة في أذنه: *سنديان وحديد احموني جيدًا، أو أني سأموت ومصيري إلى الجحيم*. واستل سيفه الطويل من غمده. جعله الثقل في يده يشعر بالرضا.

ثم وضع كعبيه على خواصر (رعد) ومشى بالجواد الكبير أسفلًا إلى المياه. وعلى جانب المجرى الآخر فعل السير لوكاس الشيء نفسه. ضغط دانك على جانب رعد الأيمن، كي يواجه الإنش الطويل بجانبه الأيسر محميًّا بدرعه. لكن لم يكن ليمنحه الإنش الطويل هذه الأفضلية. أدار جواده بسرعة واشتبكا معا في جلبة من النصول الرمادية والرذاذ الأخضر. هجم السير لوكاس بفأسه الحربية. اضطر دانك لأن يلتف من على سرجه كي يصده بترسه. دفعت القوة من تلك الضربة ذراع دانك وجعلته يصر على أسنانه. ولوح بسيفه كرد على ذلك، جرح الفارس الآخر جرحًا جانبيًا أسفل الجزء العلوي من ذراعه. صرخ الفولاذ حين احتك ببعضه وبدأت المعركة.

دفع الإنش الطويل جواده في دائرة محاولًا الوصول إلى جانب دانك الغير محمي، لكن رعد التف لمواجهته، مجاريًا الجواد الآخر. سدد السير لوكاس ضربات قاضية واحدة تلو الأخرى. لكن صد دانك كل ضربة مبدلًا أماكن ترسه مع كل ضربة. نصف جاثم تحت سنديانه، اخترق كلًا من أذرع وجانب وسيقان إنشفيلد، لكن ترسه صد كل هجمة. داروا حول بعضهما مرارًا وتكرارًا، وارتطمت المياه بسيقانهم. كان الإنش الطويل يهجم ودانك يدافع باحثًا عن أي نقطة ضعف.



ووجدها أخيرًا. كلما رفع السير لوكس فأسه لهجمة أخرى، كانت فتحة تظهر تحت ذراعه. كان هناك درع وجلد هناك، وحشوة أيضًا، لوكن لم يكن هنالك صفائح معدنية. أبقى دانك ترسه عاليًا، محاولًا أن يحدد وقتًا لهجمته. *قريبًا. قريبًا*. خفض الفأس إلى الأسفل بقوة، وألتوى بحرية ثم ارتفع. *الآن*! وخز رعد حاثًا إياه على التقدم، وهجم بسيفه الطويل ليغرس رأسه في الفتحة.

لكن الفتحة اختفت بالسرعة التي ظهرت فيها. وخدشت مقدمة رأس سيفه درع كتفه المدور، وتقدم دانك أكثر من الازم حتى كاد يسقط. ونزل الفأس مرتطما بمحاذاة حافة ترس دانك ومرتطما بجانب خوذته وجارحًا (رعد) على طول عنقه.

صرخ الجواد وأرتفع على قدمين، تقلبت عيناه وابيضتا من الألم مع انتشار رائحة الدم الحادة المعدنية في الهواء. ضرب بقوة بحوافره المعدنية بنفس الوقت الذي كان يتحرك فيه الإنش الطويل. واحدة من الضربات أصابت

السير لوكاس في وجهه وأخرى في كتفه. حينها سقط الحصان الحربي الثقيل على جواده.

كل هذا حدث خلال لحظة. سقط الحصانين مشتبكان وهما يرفسان ويعضان بعضهما بعضًا ويضربان الماء والطين تحتهما. حاول دانك أن يرمي نفسه من على السرج، لكن إحدى قدميه علقت في الركاب. سقط على وجهه أولًا، شاهقًا كمية من الهواء قبل أن يدخل الماء في خوذته عبر فتحات الأعين. كانت قدمه لاتزال عالقة، وشعر بانتزاع وحشي حيث كان رعد يرفس وكاد أن يخلع ساقه من محجرها. وبهذه السرعة تحرر، كان يدور ويغرق. للحظة شعر بالعجز في الماء. كان العالم أزرقًا أخضرًا وبنيًا.

شده ثقل وزن درعه إلى أسفل حتى ارتطم كتفه بقاع النهر. وفكر دانك: *إذا كان هذا القاع فأنا مقلوب إلى العكس*. تخبطت يدا دانك المكسوة بالفولاذ في الحجارة والرمال، وبطريقة ما جمع ساقيه تحته ووقف. كان يترنح، يقطر طينًا، والماء يتدفق من ثقوب التنفس في خوذته المظلمة، لكنه كان واقفًا. شهق الهواء داخل رئتيه.

لا يزال ترسه المتهالك متشبثًا بذراعه اليسرى ولكن غمده كان فارغا وضاع سيفه. كان هنالك دماء في خوذته بالإضافة إلى الماء. عندما حاول توزيع وزنه على قدميه، أرسل كاحله رمحًا من الألم صاعدًا إلى ساقه. ورأى أن كلا الحصانين قد كافحا للعودة إلى أقدامهما. أدار رأسه، وهو يحدق بعين واحدة في قناع من الدم، باحثًا عن خصمه. وفكّر دانك: *مات، أو غرق، أو سحق (رعد) جمجمته*.

هجم السير لوكاس من الماء أمامه مباشرة بسيف في يده، وضرب دانك ضربة عنيفة، إلا أن سماكة واقي رقبته أبقت رأسه على كتفيه. لم يكن لديه نصل ليجيب به، فقط ترسه.



تراجع قليلًا، وجاء بعدها الإنش الطويل صارخًا وشاقًا بسيفه أمامه. تلقت ذراع دانك المرفوعة ضربة مخدرة فوق الكوع. وجعله قطع في وركه ينخر من الألم. وحين تراجع مبتعدًا تدحرجت صخرة تحت قدمه، ونزل على ركبة واحده وصدره مرتفع في الماء. ورفع ترسه عاليًا، لكن في هذه المرة ضربه السير لوكاس بشدة لدرجة أنه قسم السنديان السميك في المنتصف ودفع ما تبقى منه على وجه دانك. كانت أذنيه ترن وفمه مليء بالدم، لكن من مكان ما بعيدًا سمع ايغ يصرخ «اقض عليه يا سيدي، اقض عليه، اقض عليه، إنه هناك!».

اندفع دانك إلى الأمام. انتزع السير لوكاس سيفه مجهزًا إياه لضربة أخرى. اندفع دانك على خصره من الأعلى طارحًا إياه أرضًا من على قدميه. ابتلع المجرى كلا منهما مجددًا، لكن في هذه المرة دانك كان مستعدًا. أبقى إحدى ذراعيه حول الإنش الطويل ودفعه إلى القاع. جاءت الفقاعات متدفقة من خلف خوذة انشفيلد المتهالكة والملتوية، لكنه لا يتوقف عن القتال. وجد صخرة في قاع المجرى وبدأ يضرب بها رأس دانك ويديه. تحسس دانك حزام سيفه. وتساءل دانك: *هل فقدت الخنجر أيضا؟* لا، ها

هو ذا. قبضت يديه على المقبض وانتزعه محررًا إياه، وسحبه خلال المياه المتموجة، خلال الحلقات المعدنية والجلد المغلي تحت ذراع لوكاس الإنش الطويل وكان يديره كلما ضغط أكثر. اهتز السير لوكاس وتلوى وتركته قوته. دفع دانك نفسه بعيده وطفى. كان صدره مشتعلًا. مرت سمكة أمام وجهه، طويلة وبيضاء مسطحة. وتساءل: *ما هذا؟ ما هذا؟ ما هذا* ؟

استيقظ في القلعة الخطأ. لم يعرف أين كان حينما فتح عيناه. ولحسن الحظ كانت باردة. كان طعم الدم في فمه وكانت هناك خرقة تغطي عينه، خرقة خام ثقيلة معطرة بمرهم ما. كانت رائحتها قرنفلًا حسب ظنه.

تحسس دانك وجهه ونزع الخرقة بعيدًا. تأرجح شمعة مضيئة فوقه على سقف مرتفع. كانت الغربان تمشي على العوارض الخشبية فوقه، وتتطلع إلى الأسفل بعيون سوداء صغيرة وتنعق عليه. وفكر دانك: *أنا لست أعمى على الأقل*. كان في برج المايستر وكانت الجدران مسطرًا عليها أرفف من الأعشاب والأدوية في أوان فخارية وأوانٍ من الزجاج الأخضر. كانت هنالك منضدة على مقربة، مغطاة بمخطوطات وكتب وأدوات برونزية متهالكة، وكلها مبعثرة ومغطاة بفضلات الغربان الموجودة على العوارض الخشبية. كان يسمعهم وهم يغمغمون لبعضهم البعض.

حاول الجلوس وتبين أنه خطأ فادح. دار رأسه، وصرخت ساقه اليسرى من الألم عندما وضع عليها أقل وزن يمكنه. ورأى أن كاحله كان ملفوفا بالكتان، كانت هناك أشرطة كتان حول صدره وكتفيه أيضًا.

«اثبت». ظهر فوقه وجه ما، وجه شاب ونحيل، بعيون بنية داكنة على جانبي أنف معقوف. عرف دانك ذلك الوجه. كان الرجل الذي امتلكه متشحًا باللون الرمادي، مع طوق سلسلة مرخية معلقة حول رقبته، سلسلة مايستر مكونة من العديد من المعادن. أمسكه دانك من معصمه «أين... ؟».

وقال المايستر «((كولدموت)). كنت مصابًا بشدة على أن ترجع إلى ((ستاندفاست))، لذلك أمرتنا الليدي روهان بإحضارك إلى هنا. اشرب

هذا». لقد رفع فنجانًا من ... شيء ما ... إلى شفاه دانك. كان للجرعة طعم مر، مثل الخل، لكنها على الأقل غسلت طعم الدم.

أجبر دانك نفسه على شربه كاملًا. وبعدها بدأ بثني أصابع قبضة سيفه ثم أصابع يده الأخرى. على الأقل ما زالت يداي تعملان، وذراعي. «ماذا ... ما الذي أصبت به؟».

وشخر المايستر «ما الذي لم تصب به؟ كاحل مكسور، والتواء في الركبة، وكسر في الترقوة، وكدمات ... جذع جسمك العلوي أخضر وأصفر إلى حد كبير، وذراعك اليمنى سوداء وبنفسجية. ظننت أن جمجمتك مشقوقة أيضًا، لكنها ليست كذلك على ما يبدو. هناك هذا الجرح في وجهك يا سيدي. أخشى أنه ستكون لديك ندبة. أوه، وقد غرقت بحلول الوقت الذي أخرجناك فيه من الماء».

قال دانك «غرقت؟».

«لم أظن يومًا أبدًا أن هنالك رجل واحد يمكنه ابتلاع كمية كبيرة من الماء كهذه، ولا حتى رجل كبير مثلك يا سيدي. يجب أن تعد نفسك محظوظًا بأنني حديدي المولد. كهنة الإله الغريق يعرفون كيف يغرقون رجلًا ثم يعيدونه للحياة، وقد قمت بدراسة على معتقداتهم وعاداتهم».

حاول دانك الجلوس مرة أخرى، لكن تكن فيه القوة الكافية. وفكّر دانك: *لقد غرقت. لقد غرقت في ماء لم يصل حتى إلى رقبتي*. وضحك، ثم تأوه من الألم «والسير لوكاس؟».

«ميت، هل شككت في ذلك؟».

لا كان دانك شاكًا في الكثير من الأشياء لكن ليس هذا. وقد تذكر كيف تلاشت القوة من أطراف الإنش الطويل دفعة واحدة «ايغ». خرجت الكلمة من فمه «أريد ايغ».

قال المايستر «الجوع علامة جيدة، لكن ما تحتاجه الآن هو النوم، وليس الطعام».

هز دانك رأسه وندم على هزه فورًا «ايغ هو مرافقي ...».

«حقًا؟ فتى شجاع، وأقوى مما يبدو. لقد كان هو من أخرجك من المجرى. لقد ساعدنا في إزالة ذلك الدرع عنك أيضًا، وركب معك في الطريق عندما أحضرناك إلى هنا. لم يكن ينام بنفسه، بل جلس بجانبك وسيفك في حضنه، في حال حاول أحدهم إيذائك، حتى أنه شك بي، وأصر على أن أتذوق أي شيء أريد أن أطعمك إياه. طفل غريب الأطوار، لكنه مخلص».

«أين هو؟».

«طلب السير يوستاس من الصبي أن يحضر معه في وليمة الزفاف. لم يكن هنالك أحد إلى جانبه. كانت ستكون من الجلافة أن يرفض».

«وليمة زفاف؟». لم يستوعب دانك.

«لم تكن لتعرف، بالطبع. تم الصلح بين ((كولدموت)) و((ستاندفاست)) بعد معركتك. توسلت السيدة روهان الإذن من السير يوستاس العجوز لعبور أرضه وزيارة قبر آدام، ومنحها هذا الحق. ركعت على ركبتيها أمام التوت الأسود وبدأت تبكي، وقد تأثر كثيرًا لدرجة أنه ذهب لتهدئتها. لقد أمضوا الليل كله يتحدثون عن آدام الشاب ووالد سيدتي النبيل. كان اللورد وايمان والسير يوستاس قد كونا صداقتهما سريعًا، حتى تمرد آل بلاكفاير. حضرة اللورد والليدي تزوجَا هذا الصباح من قبل السپتون سيفتون الطيب. يوستاس أوزجري هو لورد ((كولدموت))، وأسده المربع يرفرف بجانب عنكبوت وبير على كل برج وجدار».

كان عالم دانك يدور ببطء حوله. تلك الجرعة. وفكّر دانك: *لقد أعادني للنوم*. أغلق عينيه وترك كل الألم يخرج منه. كان بإمكانه سماع الغربان تنعق وتصرخ على بعضها البعض، وصوت أنفاسه، وشيء آخر أيضًا ... صوت أكثر هدوءًا وثابتًا وثقيلًا ومهدئًا إلى حد ما. وتمتم بنعاس «ما هذا؟ هذا الصوت ...؟».

وأرهف المايستر سمعه «هذا؟ هذا مجرد مطر».

لم يرها حتى يوم رحيله.

اعترض السپتون سيفتون طريق بينما كان دانك يعرج بشدة عبر الفناء، وهو يأرجح قدمه المجبرة ويتكئ على عكاز «هذه حماقة يا سيدي، يقول المايستر سيريك أن جروحك لم تشفَ حتى الآن، ولا حتى نصفها، وهذا المطر... ستصاب بالبرد، إذا لم تغرق مرة أخرى. على الأقل انتظر حتى يتوقف المطر».

«قد يستغرق الأمر سنوات». كان دانك ممتنًا للسيبتون السمين، الذي كان يزوره كل يوم تقريبًا... كي يصلي من أجله، ظاهريًا، على الرغم من أنه قد قضى معظم الوقت في القصص والقيل والقال. سيفتقد لسانه المفلوت ورفقته المبهجة، لكن ذلك لم يغير شيئًا «يجب أن أرحل».

كان المطر ينهمر من حولهم، كألف سوط رمادي بارد على ظهره. كانت عباءته قد ابتلت بالفعل. كانت العباءة الصوفية البيضاء التي أعطاه إياها سير يوستاس مجددا، ذات إطار مربع باللونين الأخضر والذهبي. وشحه بها الفارس العجوز مجددا كهدية وداع. قال «من أجل شجاعتك وخدمتك المخلصة يا سيدي». وكان الدبوس الذي كان يعلق العباءة على كتفه هدية أيضًا؛ دبوس من العاج على شكل عنكبوت بأرجل فضية ومجموعة من العقيق المسحوق شكلت نقاطا على ظهره.

قال السپتون سيفتون «آمل ألا تكون هذه مهمة مجنونة للبحث عن بينيس. أنت مصاب بكدمات وضرب لدرجة أنني أخاف عليك إذا وجدك هذا الشخص في مثل هذه الحالة».

فكر دانك بمرارة: *بينيس، بنيس اللعين*. بينما كان دانك يتخذ موقفه عند الجدول، قام بينيس بتقييد سام الأحدب وزوجته، ونهب ((ستاندفاست)) من أعلاها إلى أسفلها، وسرق كل شيء له قيمة يمكن أن يجده، من شموع وملابس وأسلحة إلى كأس أوزجري الفضية وعملاته الذي كان الرجل العجوز قد خبأها الغرفة العلوية الخاصة به خلف نسيج متعفن. أمل دانك أن يلتقي ببينيس من الترس البني مجددًا، وإن صادفه... «سأتجنبه».

«إلى أين سوف تذهب؟».كان السپتون يلهث بشدة. حتى ودانك يعرج على عكازته كان السبتون سمينًا جدًا بحيث لم يكن يستطع مجارات خطواته.

«(جزيرة الحسناء). (هارنهال). (الثالوث). هنالك عمل للفارس المتجول في كل مكان». وهز كتفيه «ولطالما رغبت في رؤية الجدار». «الجدار؟».

وتوقف السپتون، وصرخ وهو يقف في الوحل ويداه ممدودتان بينما كان المطر يهطل حوله «لقد يئست منك يا سير دانكن! صلّ، يا سيدي، صل لكي تضيء العجوز طريقك!». واستمر دانك في المشي.

كانت تنتظره داخل الاسطبلات، واقفة بجانب حزم القش الصفراء في فستان بخضار الصيف. قالت عندما جاء دافعًا الباب «سير دانكن». تدلت ضفيرتها الحمراء أمامها، ونهايتها تلامس فخذيها «من الجيد أن أراك على قدميك».

وفكر: *أعتقد أنك لم تريني على ظهري أبدًا* «سيدتي. ما الذي أتى بك إلى الإسطبلات؟ إنه يوم ممطر للركوب».

«أظنني سأوجه لك الكلام نفسه».

«أخبرك ايغ؟». وفكر دانك: *أنا مدين له بصفعة أخرى على الأذن*.

«كن ممتنا لأنه فعل، وإلا كنت سأرسل رجالًا خلفك لجرّك عائدًا. لقد كانت قساوة منك أن تتسلل هاربًا دون وداع».

لم تأت لرؤيته أبدًا أثناء وجوده في رعاية المايستر سيريك، ليس حتى لمرة واحدة. وقال «هذا اللون الأخضر يناسبك يا سيديتي. يبرز لون عينيك». قام بوضع وزنه بصعوبة على العكاز. «أنا هنا من أجل حصاني».

«ليس عليك الرحيل. هنالك مكان لك هنا عندما تتعافى. قائد حراسي. وايغ يمكن أن ينضم إلى باقي المرافقين. لا حاجة إلأى أن يعرف أحد من هو».

«شكرًا لك يا سيدتي، لكن لا».كان (رعد) في مربط يضم عشرات الأماكن. عرج دانك اتجاهه.

«أرجوك أعد النظر في ذلك يا سيدي. هذه أوقات محفوفة بالمخاطر، حتى بالنسبة للتنانين وأصدقائهم. ابق حتى تتعافى». وسارت بجانبه «سوف يسعد هذا اللورد يوستاس أيضًا. إنه معجب جدًا بك».

وأقر دانك على ذلك قائلاً «معجب جدًا، كان ليريدني أن أتزوج من ابنته لو لم تكن ميتة. ثم يمكنك أن تكوني السيدة والدتي. لم يكن لديّ أم قط، ناهيك عن أم سيدة».

ولوهلة، بدت الليدي روهان وكأنها ستصفعه مرة أخرى. وفكر دانك: *ربما ستركل عكازتي بعيدًا.*

لكنها قالت بدلاً من ذلك «أنت غاضب مني يا سيدي. يجب أن تدعني أعوضك عن ذلك».

وقال «حسنًا، يمكنك مساعدتي في سرج (رعد)».



«لدي فكرة أخرى في ذهني». مدت يدها ووضعتها على يده، يد منمشة بأصابع قوية نحيلة. وفكر: *أراهن أن النمش ينتشر في جسمها كله* «ما مدى معرفتك بالخيول؟».

«أركب واحدًا».

«جواد مهجن للمعارك، بطيء الخطوات وسيء المزاج. ليس حصانًا يركبه المرء من مكان إلى آخر».

«إذا كنت بحاجة إلى الانتقال من مكان إلى آخر فإما هو أو هذين». وأشار دانك إلى قدميه.

فقالت «لديك أقدام كبيرة». وتفحصته «أيدي كبيرة أيضًا. أعتقد أن كل ما فيك كبير على هذا المقياس. كبير جدًا بالنسبة لمعظم الأشخاص. ستبدو الأحصنة مثل المهور وأنت راكب على ظهورها. ومع ذلك، فإن دابة سريعة ستخدمك جيدًا. جواد كبير، مع فرس رملية دورنية للمسافات الطويلة». وأشارت إلى المربط المقابل لـ(رعد) «فرس مثلها».

كانت كستنائية محمرة بلون عينين فاتح وعرف ناري طويل. أخذت السيدة روهان جزرة من كمها وداعبت رأسها بينما كانت تأكلها. قالت للحصان «الجزرة، لا الأصابع». قبل أن تستدير مرة أخرى إلى دانك «أناديها (لهب)، لكن يمكنك تسميتها كما يحلو لك. سمها (تعويض)، إذا أردت».

كان صامتًا للحظة. انحنى على العكاز ونظر إلى الكستنائية المحمرة بنظرات جديدة. كانت رائعة. مطية أفضل من أي حصان امتلكه الرجل العجوز قط. كان عليك فقط أن تنظر إلى تلك الأطراف الطويلة والنظيفة لترى كم ستكون سريعة.

«لقد هجنتها من أجل الجمال والسرعة».

عاد إلى (رعد) «لا أستطيع أن آخذها».

«ولم لا؟».

«إنها حصانٌ جيدة جدًا على أن آخذها. فقط انظري إليها».

تسلل احمرار الوجه إلى وجه روهان. وتمسكت بضفيرتها، ولفتها بين أصابعها. «كان علي أن أتزوج، أنت تعرف ذلك. إرادة والدي... أوه، لا تكن بهذه الحماقة».

«ماذا يجب أن أكون غير ذلك؟ أنا بليد كجدار القلعة وولدت نغلًا كذلك».

«خذ الحصان. أرفض السماح لك بالرحيل دون تذكار يذكرك بي».

«سأتذكرك يا سيدتي. لا تخافي من ذلك».

«خذها!».

أمسك دانك بضفيرتها وجذب وجهها نحو وجهه. كان الأمر صعبا مع العكاز والفرق في أطوالهما. كاد يسقط قبل أن يضع شفتيه على شفتيها. قبلها بشدة. دارت إحدى يديها حول عنقه والأخرى حول صدره. وقد تعلم عن التقبيل في لحظة أكثر من كل ما تعلمه من خلال المشاهدة. لكن عندما انفصلا أخيرًا، سحب خنجره «أنا أعرف ما أريد أن أتذكرك به يا سيدتي».

كان ايغ ينتظره عند بوابة الحراسة، راكبا على فرس جديد محمر ووسيم وممسكًا بقيادة مايستر. عندما اتجه إليهم دانك مسرعًا على (رعد)، بدا الصبي متفاجئًا «قالت إنها تريد أن تمنحك حصانًا جديدًا، يا سيدي».



وقال دانك «حتى السيدات ذوات النسب العالي لا يحصلن على كل ما يردن». وبينما كانوا يسيرون على الجسر المتحرك. «لم يكن الحصان ما أردت». كانت مياه الخندق مرتفعة جدا لدرجة أنها كانت تهدد بالفيضان على ضفافه. «أخذت شيئًا آخر لأتذكرها به بدلاً من ذلك. خصلة من ذلك الشعر الأحمر». ومد يده تحت عباءته وأخرج الضفيرة وابتسم.

في القفص الحديدي عند تقاطع الطرق، كانت الجثث لا تزال متعانقة. بديا وحيدين، بائسين. حتى الذباب تخلى عنهما وكذلك الغربان. ولم يبقَ بعض جذاذات من الجلد والشعر بقيت على عظام الميتين.

توقف دانك وتجهم. كان كاحله يتألم من الركوب، لكن لا يهم. كان الألم جزءًا من الفروسية مثل السيوف والدروع. وسأل ايغ «أي طريق هو الجنوب؟». كان من الصعب معرفة ذلك حيث كان العالم مطرًا وطينًا وكانت السماء رمادية مثل جدار من الجرانيت.

وأشار ايغ «هذا هو الجنوب يا سيدي. وهذا هو الشمال».

«(قلعة الصيف) تقع جنوبًا. حيث يوجد أبوك».

«والجدار يقع شمالًا».

ونظر إليه دانك «هذا طريق طويل للركوب».

«لدي حصان جديد، يا سيدي»

«بالفعل لديك». جعل ذلك دانك يبتسم «ولماذا تريد أن ترى الجدار؟».

وقال ايغ «حسنًا، سمعت بأنه طويل».



نهاية الجزء الثاني من فارس من الممالك السبع